التبرك المشروع

و

التبرك الممنوع

د. علي بن نفيع العلياني

بسم الله الرحمن الرحيم



الرئاســـــة العامـــــة
لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
الإدارة العامة للتوعية والتوجيه
السلسلة رقم (٤٥)

التبرك المشروع والتبرك الممنوع

المقدمـــة:

إن الحمدلله، نحمده، ونستغفره، ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضلّ له؛ ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، ﷺ، **وبعد**:

فإن التـبرك بذوات الصـالحين وآثارهم والأزمنة والأمكنة المرتبطة بهم، **قضية من أهم القضايا العقدية**، وإن الغلو فيها ومخـالفة الصواب قد جرّ فئاماً من الناس قديماً وحديثاً إلى حظيرة البدع والخرافات والشركيات. وهذا من قديم الزمان، فإن أهل الجاهلية الأولى الذين بُعث فيهم رسول الله، ﷺ، **كان من أسباب عبادتهم للأصنام** التبرك بها، وطلب بركتها في الأموال والأولاد والأنفس، ثم لما دخلت البدع في هذا الدين عن طريق الزنادقة والمنافقين؛ كان من **وسائلهم لتحريف الدين الغلو في الأوليـاء والصـالحـين**، والتـبرك بقبورهم؛ وفي مقدمة هؤلاء الرافضة فهم من أولهم ظهورًا بعد بعثة محمد، ﷺ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:

«... ومن هنا أدخل أهل النفاق في الإسلام ماأدخلوه، فإن الذي ابتدع دين الرافضة كان زنديقاً يهودياً أظهر الإسلام وأبـطن الكفـر، ليحتـال في إفساد دين المسلمين، كما احتال

بولص في إفساد دين النصارى، سعى في الفتنة بين المسلمين حتى قتل عثمان. وفي المؤمنين من يستجيب، كما قال تعالى: ﴿**لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً ولا وضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم**﴾. ثم إنه لما تفرقت الأمة ابتدع ماادعاه في الإمامة من النص والعصمة، وأظهر التكلم في أبي بكر وعمر، وصادف ذلك قلوبًا فيها جهل وظلم. وإن لم تكن كافرة، فظهرت **بدعة التشيع التي هي مفتاح باب الشرك!** ثم لما تمكنت الزنادقة أمروا ببناء المشاهد، وتعطيل المساجد، محتجين بأنه لا تُصلي الجمعة والجماعة الا خلف المعصوم. ورووا في إنارة المشاهد وتعظيمها والدعاء عندها من الاكاذيب مالم أجد مثله فيما وقفت عليه من أكاذيب أهل الكتاب، حتى صنف كبيرهم ابن النعمان كتابًا في مناسك حج المشاهد، وكذبوا فيه على النبي، ﷺ، وأهل بيته أكاذيب بدلوا بها دينه وغيّروا ملته، وابتدعوا الشرك المنافي للتوحيد، فصاروا جامعين بين الشرك والكذب»[1].

ثم اقتبس غلاة المتصوفة من الرافضة التبرك بالمشائخ وبقبورهم، وآثارهم، فهذا البوصيري يري أن من تبرك بتراب قبر النبي ﷺ، كانت له طوبى إذ يقول:

---

(١) مجموع الفتاوي ٢٧/١٦١.

لا طيب يعدل ترباً ضم أعظمه طوبى لمنتشق منه وملتثم[1]

وأما أتباع الطريقة الرفاعية، فقد ذكروا من بركات صاحب الطريقة مايَجلّ عن الوصف، ومن ذلك قوله في شعر:

انا الرفاعي ملاذ الخافقين فلذ في باب جودي لتسقى الخير من ديم
إذا دعاني مريدي وهو في لجج من البحار نجا من حالة العدم
هلال سلطان عزى للوجود بدا وحالتي انفردت من جملة الأمم
فلو ذكرت بأرض لا نبات لها لأقبلت بصنوف الخير والنعم
ولو ذكرت بنار قطّ ماهبت ولو ذكرت ببحر غار من عظمي[2]

ولا يسامي الرفاعي في هذه البركات إلا الشيخ نقشبند، شيخ الطريقة النقشبندية، الذي يقول عنه الشيخ محمد أمين الكردي: «هو الغوث الأعظم، وعقد جيد المعارف الأنظم، انزاحت بأنوار هدايته أعيان الأغيار وعادت الأشرار ببركة أسراره من أخيار الأعيان وأعيان الأخيار»[3].

وأما شيخ البريلوية في الهند فإنه لا يرى بأسًا من وضع تمثال لمقبرة الحسين في المنزل من أجل التبرك به[4]

قلت: ومع انتشار العلم في هذا الزمن إلا أن التبرك

(١) نقد البردة لعبد البديع صقر٨٢.
(٢) انظر الرفاعية لعبدالرحمن دمشقية٨٨.
(٣) النقشبندية الدمشقية٢٥.
(٤) البريلوية لاحسان الهي ظهير ص٢٣.

بالأولياء وآثارهم وبالقبور وأصحابها لايزال شائعًا منتشرًا حتى بين من يحملون أعلى الدرجات العلمية وما الحجر الطيني المصنوع من تراب النجف الذي نرى حجاج الرافضة يحملونه معهم للسجود عليه في الصلاة إلا مظهر منحرف من مظاهر التبرك المحرم وماقيام اصحاب الموالد في اثناء قراءتهم للمولد وشربهم من الماء الموضوع عند قاريء المولد إلا مظهر منحرف من مظاهر التبرك المحرم إذ يعتقد بعضهم أن روح الرسول ﷺ حضرت قراءة المولد وشربت من الماء الموضوع ثمّ هم يتبركون ببقية الماء.

ولذا رأيت أن اسهم في توضيح الحق في هذه القضية العقدية المهمة في نظري ولئلا يختلط التبرك الجائز بالتبرك الممنوع وجعلت هذا البحث في تمهيد وبابين وخاتمة.

التمهيد في معنى التبرك وحقيقته.

الباب الأول:

بعنوان التبرك المشروع ويشتمل على خمسة فصول:

الفصل الأول: في التبرك المشروع بذات النبي صلى الله عليه وسلم وآثاره.

الفصل الثاني: في التبرك المشروع بالأقوال والأفعال.

الفصل الثالث: في التبرك المشروع بالأمكنة.

الفصل الرابع: في التبرك المشروع بالأزمنة.

الفصل الخامس: في التبرك المشروع بالمطعومات وما في حكمها.

وأما الباب الثاني:

فهو بعنوان التبرك الممنوع ويشتمل على تمهيد وثلاثة فصول.

التمهيد: في التبرك عند أهل الجاهلية الأولى.

الفصل الأول: في التبرك الممنوع بالأمكنة والجمادات.

الفصل الثاني: في التبرك الممنوع بالأزمنة.

الفصل الثالث: في التبرك الممنوع بذوات الصالحين وآثارهم.

والخاتمة: في أهم النتائج وقد ذيلت البحث بفهرس للمصادر وفهرس للموضوعات وصلى الله وبارك على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تمهيد:

في معنى التبرك وحقيقته:

قال في اللسان: وقال الليث في تفسير (**تبارك الله**): تمجيد وتعظيم، وتبارك بالشيء تفاءل به.

وقال الزجاج في قوله تعالى: ﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك﴾. قال: المبارك مايأتي من قِبَله الخير الكثير. وقال أيضًا ويقول: تبركت به أي تيمنت به[١].

قال الراغب: البركة ثبوت الخير الإلٰهي في الشيء. قال تعالى: ﴿**لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض**﴾. وسمى بذلك لثبوت الخير فيه، ثبوت الماء في البركة، والمبارك مافيه ذلك الخير. ولما كان الخير الاهي يصدر من حيث لا يحسّ وعلى وجه لا يُحصى ولا يحصر، قيل لكل مايشاهد منه زيادة غير محسوسة؛ هو مبارك وفيه بركة[٢].

ويقول ابن القيِّم ـ رحمه الله ـ في شرحه، لقوله، ﷺ، في التشهد: «**اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد**». وذكر البركة، وحقيقتها الثبوت واللزوم والاستقرار، فمنه برك البعير

(١) اللسان ١٠/٣٩٦

(٢) الشرك ومظاهره للميلي ص٩٩.

إذا استقر على الأرض. ومنه المبرك الموضع المبروك. وقال صاحب الصحاح: وكل شيء ثبت وأقام فقد برك، والبرك الإبل الكثيرة، والبركة بكسر الباء كالحوض، والجمع البرك ذكره الجوهري، قال، ويقال: سميت بذلك لإقامة الماء فيها، البراكا الثبات في الحرب والجد فيها قال الشاعر:

ولا ينجي من العمرات إلا

براكا القتال أو الفرار

والبركة النماء والزيادة، والتبريك الدعاء بذلك، ويقال: باركه الله، وبارك فيه، وبارك عليه وبارك له. وفي القرآن الكريم (٢٧ : ٨) ﴿بورك من في النار ومن حولها﴾. وفيه: (٣٧ : ١١٣) ﴿ وباركنا عليه وعلى إسحاق ﴾. وفيه (٢١ : ٧١) ﴿وباركنا فيها﴾ وفي الحديث: «وبارك لي فيما أعطيت». وفي حديث سعد: «بارك الله لك في أهلك ومالك». والمبارك الذي قد باركه الله سبحانه كما قال الله تعالى على لسان المسيح عليه السلام (١٩ : ٣١) ﴿وجعلني مباركًا أينما كنت ﴾ وكتابه مبارك. قال تعالى: (٢١ : ٥٠) ﴿وهذا ذكر مبارك أنزلناه﴾. وقال: (٣٨ : ٢٩) ﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك﴾. وهو أحق أن يُسمّى مباركًا من كل شيء، لكثرة خيره ومنافعه، ووجوه البركة فيه. والرب تعالى يقال في حقه (تبارك) ولايقال: مبارك.

ثم قالت طائفة منهم الجوهري: إن (تبارك) بمعنى بارك: مثل قاتل وتقاتل، قال إلا أن (فاعل) يتعدى، وتفاعل لايتعدى، وهذا غلط عند المحققين. وإنما تبارك تفاعل من البركة. وهذا الثناء في حقه تعالى، إنما هو لوصف رجع إليه كتعالى، فإنه من العلو؛ ولهذا يقرن بين هذين اللفظين فيقال: تبارك وتعالى. وفي دعاء القنوت: «تباركت وتعاليت». وهو سبحانه أحق بذلك وأولى من كل أحد، فإن الخير كله بيده. وكل الخير منه. وصفاته كلها صفات كمال، وأفعاله كلها حكمة، ورحمة ومصلحة وخيرات[1]

ويقول أيضًا عند الكلام على قوله: «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

وأما البركة فكذلك نوعان أيضًا:

أحدهما: بركة هي فعل تبارك وتعالى، والفعل منها بارك، ويتعدى بنفسه تارة، وبأداة على تارة، وبأداة في تارة، والمفعول منها مبارك. وهو ماجعل كذلك، فكان مباركًا بجعله تعالى.

والنوع الثاني: بركة تضاف إليه، إضافة الرحمة والعزة؛ والفعل منها تبارك. **ولهذا لا يقال لغيره ذلك**، ولا يصلح إلا له

---

(١) جلاء الأفهام ١٧٨.

عز وجل. فهو سبحانه المبارك، وعبده ورسوله المبارك، كما قال الله تعالى على لسان المسيح: ﴿وجعلني مباركًا أينما كنت﴾. فمن بارك الله فيه وعليه فهو المبارك. وأما صفته تبارك فمختصة به تعالى، كما أطلقها على نفسه بقوله: ﴿تبارك الله رب العالمين﴾ ﴿تبارك الذي بيده الملك﴾، ﴿تبارك الله أحسن الخالقين﴾، ﴿وتبارك الذي له ملك السمٰوات والأرض ومابينهما وعنده علم الساعة وإليه ترجعون﴾، ﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده﴾، ﴿تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك﴾، ﴿تبارك الذي جعل في السماء بروجًا﴾. أفلا تراها كيف اطردت في القرآن جارية عليه مختصة به، لا تطلق على غيره، وجاءت على بناء السعة والمبالغة، كتعالى وتعاظم ونحوهما. فجاء بناء تبارك على بناء تعالى الذي هو دال على كمال العلو ونهايته. فكذلك تبارك دال على كمال بركته وعظمها وسعتها. وهذا معنى قول من قال من السلف: تبارك تعاظم. وقال آخر معناه: أن تجيء البركات من قبله، فالبركة كلها منه. وقال غيره: كثرة خيره وإحسانه إلى خلقه. وقيل اتسعت رأفته ورحمته بهم، وقيل تزايد عن كل شيء وتعالى عنه في صفاته وأفعاله. ومن هنا قيل: معناه تعالى وتعاظم، وقيل: تبارك تقدّس، والقدس الطهارة. وقيل: تبارك أي باسمه يبارك في كل شيء. وقيل: تبارك ارتفع. والمبارك: المرتفع، ذكره

البغوي. **وقيل**: تبارك، أي البركة تكتسب وتنال بذكره. **وقال** ابن عباس: جاء بكل بركة. **وقيل**: معناه ثبت ودام بها لم يزل ولايزال، ذكره البغوي أيضًا. **وحقيقة اللفظة** أن البركة كثرة الخير ودوامه، ولا أحد أحق بذلك وصفًا وفعلاً منه تبارك وتعالى. **وتفسير السلف يدور على هذين المعنيين، وهما متلازمان، لكن الأليق باللفظة معنى الوصف لا الفعل**، فإنه لازم مثل تعالى وتقدس وتعاظم. ومثل هذه الألفاظ ليس معناها أنه جعل غيره عاليًا، ولا قُدّوسًا، ولا عظيمًا، هذا مما لايحتمله اللفظ بوجه، وإنما معناها في نفس من نسبت إليه، فهو المتعالى المتقدس، فكذلك تبارك لا يصحّ أن يكون معناها بارك في غيره، وأين أحدهما من الآخر لفظًا ومعنى؟! هذا لازم وهذا متعد! **فعلمت أن من فسر تبارك بمعنى القى البركة وبارك في غيره لم يصب معناها**. وإن كان هذا من لوازم كونه متباركًا، فتبارك من باب مجد، والمجد كثرة صفات الجلال والسعة والفضل. وبارك من باب أعطى وأنعم، ولما كان المتعدي في ذلك يستلزم اللازم من غير عكس فسّر من فسّر من السلف اللفظة بالمتعدي، لينتظم المعنيين. فقال مجيء البركة كلها من عنده، أو البركة كلها من قِبَله، وهذا فرع على تبارك في نفسه. وقد أشبعنا القول في هذا في كتاب الفتح المكي وبينا هناك أن البركة كلها له تعالى ومنه، فهو المُبارك، ومن أُلقي عليه

بركتـه فهو المبَارَك، ولهذا كان كتابه مباركًا، ورسوله مباركًا، وبيته مباركًا، والأزمنة والأمكنة التي شرّفها واختصها عن غيرها مباركة. فليلة القدر مباركة، وماحول المسجد الأقصى مبارك، وأرض الشـام وصفهـا بالـبركة في أربعة مواضع من كتابه أو خمسـة. وتدبر قول النبي، ﷺ، في حديث ثوبان الذي رواه مسلم في صحيحـه عنـد انصرافـه من الصلاة: «اللهم أنت السلام، ومنك السلام، تباركت ياذا الجلال والإكرام». فتأمل هذه الألفـاظ الكريمة، كيف جمعت نوعي الثناء، أعني ثناء التنزيه والتسبيح، وثناء الحمد والتمجيد بأبلغ لفظ وأوجزه وأتمه معنى فأخبر أنه السلام! وأن صفات كماله ونعوت جلاله وأفعاله وأسمائه كلها سلام. وكذا الحمد كله له وصفًا. وملكًا. فهو المحمود في ذاته، وهو الذي يجعل من يشاء من عباده محمودًا فيهبه حمدًا من عنده، وكذلك العزة كلها له وصفًا وملكًا، وهو العزيز الذي لا شيء أعزّ منه، ومن عزّ من عباده فبإعزازه له. وكذلك الرحمة كلها له وصفًا وملكًا. وكذلك البركة فهو المتبارك في ذاته الذي يُبارك فيمن شاء من خلقه. وعليه فيصير بذلك مباركًا. ﴿فتبارك الله رب العالمين﴾، ﴿وتبارك الذي له ملك السموات والأرض ومابينهما وعنده علم الساعة وإليه ترجعون﴾[1].

(١) بدائع الفوائد ٢/ ١٨٥ ومابعدها.

وبهذا الكلام المستفيض الذي نقلته عن الإمام ابن القيِّم مع طوله لفائدته يتضح عدة أمور منها:

١ - **أن البركة كلّها من الله**، كما أن الرزق من الله، والنصر من الله، والعافية من الله، ولا تطلب البركة إلا من الله، فهو واهبها سبحانه، ويدل على هذا مارواه البخاري في صحيحه عن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: «كنا نعدّ الآيات بركة، وأنتم تعدونها تخويفًا، كنا مع رسول الله، ﷺ، في سفر فقل الماء، فقال: اطلبوا فضلة من ماء، فجاءوا بإناء فيه ماء قليل فأدخل يده في الإناء ثم قال: حي على الطهور المبارك، والبركة من الله، فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله، ﷺ» الحديث[١].

فإذا كانت من الله فطلبها من غيره سبحانه شرك بالله تعالى كطلب الرزق وجلب النفع، ودفع الضرّ من غيره عز وجل. ولا شك أن البركة من الخير، والخير كله من الله، كما جاء في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن علي بن أبي طالب، عن رسول الله، ﷺ، أنه كان إذا قام إلى الصلاة، قال: وجهت وجهي للذي فطر السمٰوات والأرض حنيفًا وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح ٦/٤٣٣

لا شريك له، وبـذلك أُمِرت وأنا من المسلمين. اللهم أنت الملك لا إلٰه إلا أنت، أنت ربي، وأنا عبدك، ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعًا، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. واهـدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت. واصرف عني سيئها لا يصرف سيئها إلا أنت. لبيك وسعديك والخـير كله في يديك، والشر ليس اليك. إنـا بك وإليك، تباركت وتعاليت، استغفرك وأتوب إليك، الحديث[1].

٢ - إن مايُتـبرك به من الأعيـان والأقوال والأفعال التي ورد الشرع بها، إنما هو سبب للبركة، وليس هو واهب البركة، كما أن مايتداوى به من الأدوية والرقى انما هو سبب للشفاء، وليس هو واهب الشفا، وإن الذي يشفى هو الله، كما جاء في الحديث الـذي في صحيح البخاري. قال أنس - رضي الله عنه - ألا أرقـيك برقية رســول الله، ﷺ، قال بلى! قال: «اللهم رب الناس، مذهب الباس، اشف أنت الشافي، لا شافي إلا أنت، شفـاء لا يغادر سقمًا»[2]. مع أنه، ﷺ، قال كما في صحيح البخـاري: «الكمأة من المن وماؤها شفا للعين»[3] أي سبب لشفاء العين. وقال ﷺ: «إن هذه الحبة السوداء شفاء من كل

(١) صحيح مسلم مع النووي ٦/٥٧.
(٢) صحيح البخاري مع الفتح ٥/١٠.
(٣) المصدر السابق ١٣٨/١٠

داء إلا من السام! قلت وما السام قال الموت؟!»[1] ولا يصح أن يطلب الشفاء لا من الكمأة ولا من الحبة السوداء! وإنما يطلب من الله عز وجل. وتكون الكمأة والحبة السوداء سببًا من الأسباب التي قد تنفع، وقد لا تنفع، بإذن الله، **فكذلك البركة تكون من الله، وماذكر الشرع إن فيه بركة فيستعمل استعمال السبب الذي قد يتخلف تأثيره، لفقد شرط أو لوجود مانع** كما هو معلوم في قاعدة الأسباب الشرعية والطبيعية. وما تضاف البركة إليه إنما هو من باب إضافة الشيء إلى سببه! كما قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ عن جويرية بنت الحارث ـ رضي الله عنها ـ «فما أعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها»[2] أي هي سبب للبركة، وليست هي المعطية للبركة وذلك أن جويرية ـ رضي الله عنها ـ لما علم الصحابة أن رسول الله، ﷺ، تزوجها اعتقوا من سبوه من قومها بني المصطلق، لكونهم أصهار رسول الله، ﷺ، فاعتقوا مائة أهل بيت من قومها! فهذه بركة عظيمة من الله، والسبب هو جويرية بنت الحارث، وهكذا فالأشياء المباركة هي سبب للخير والنماء والزيادة، وواهب كل هذه هو الله عز وجل.

---

(١) المصدر السابق ١٠/١٢١

(٢) المسند ٦/٢٧٧.

٣ ـ إن التماس البركة بسبب شيء من الأشياء أمر شرعي، فالذي يدل على حصول البركة من عدمها بسبب الشيء أو في الشيء إنما هو الدليل الشرعي، فالأمور الدينية مبناها على النص بخلاف الأمور الدنيوية، فإنها تُكتشف بالعقل والتجربة، وبالنص أيضًا.

٤ ـ إن التبرك بالأشياء يكون غالبًا بما كان سبب البركة فيه ليس من الأسباب المعهودة للناس، ولأجل ذلك يحرص الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ على هذا كثيرًا، فعندما أدخل رسول الله، ﷺ، يده في الإناء، ثم قال: حي على الطهور المبارك، والبركة من الله، والماء ينبع من بين أصابعه، جعل عبدالله بن مسعود يبادر الصحابة إلى الماء، ويدخله في جوفه، ويكثر من شربه، لقول الرسول، ﷺ: «والبركة من الله»(١) وكذلك فعل أبوبكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ فقد أكل من طعامه بعد أن حلف أن لايطعمه عندما رأى نزول البركة فيه، فقد روى البخاري في صحيحه عن عبدالرحمن بن أبي بكر ـ رضي الله عنهما ـ أن أصحاب الصُّفّة كانوا أُناسًا فقراء. وأن النبي، ﷺ، قال مرة من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث، ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس بسادس، أو كما قال. وأن ابابكر جاء بثلاثة وانطلق النبي، ﷺ، بعشرة،

---

(١) انظر فتح الباري ١٠/٤٣٣

وأبوبكر ثلاثة. قال فهو أنا وأبي وأمي ولا أدري هل قال امرأتي وخـادمي بين بيتنـا وَبين بيت أبي بكر وأن أبابكر تعشى عند النبي، ﷺ، ثم لبث حتى صلى العشاء، ثم رجع فلبث حتى تعشى رسول الله، ﷺ، فجاء بعدما مضى من الليل ماشاء الله. قالت له امرأته: ماحبسك من أضيافك أو ضيفك؟ قال أو عشيتهم؟ قالت أبوا حتى تجيء قد عرضوا عليهم فغلبوهم. قال فذهبت فاختبـأت فقـال ياغنثـر[1] فجدع وسبّ، وقال: كلوا. وقـال: لا أطعمـه أبدًا. قال وأيم الله ماكنا نأخذ من اللقمة إلا ربا من أسفلها أكثر منها حتى شبعوا وصارت أكثر مما كانت قبـل، فنظر ابوبكر فإذا شيء أو اكثر فقال لامرأته: يا أخت بني فراس، قالت: لا وقرة عيني لهي الآن أكثر مما قَبل بثلاث مرار، فأكل منها أبوبكر. وقال: إنما كان الشيطان يعني يمينه، ثم أكل منها لقمة، ثم حملها إلى النبي، ﷺ.. الحديث[2].

وبعـد ماتقدم نستطيع أن نقول: إن التبرك هو طلب البركة من الزيادة في الخير والأجر، وكل مايحتاجه العبد في دينه

---

(١) الغنثر: الثقيل الوخم انظر اللسان ٥/٨، وقيل الجاهل والسفيه، واللئيم. انظر فتح الباري ٦/٤٣٩.

(٢) صحيح البخاري مع فتح الباري ٦/٤٣٦ باب علامات النبوة في الإسلام.

ودنياه، بسبب ذات مباركة أو زمان مبارك. وتكون هذه البركة قد ثبتت لذلك السبب ثبوتاً شرعيًّا. وثبتت الكيفية التي تنال بها هذه البركة عن المعصوم، ﷺ.

الباب الأول

التبرك المشروع

وفيه فصول:

الفصل الأول:

التبرك المشروع بذات النبي ﷺ واثاره

الفصل الثاني:

التبرك المشروع بالأقوال والأفعال

الفصل الثالث:

التبرك المشروع بالأمكنة

الفصل الرابع:

التبرك المشروع بالأزمنة

الفصل الخامس:

التبرك المشروع بالمطعومات وما في حكمها

الفصل الأول

التبرك المشروع بذات النبي ﷺ وبآثاره:

لا شك أن ذات الرسول، ﷺ، ذات مباركة، جعل الله فيها بركة خاصة به، ﷺ، وكان الصحابة يعرفون ذلك، كما روى البخاري في صحيحه عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت إن النبي، ﷺ، «كان ينفث على نفسه في المرض الذي مات فيه بالمعوذات، فلما ثقل كنت أنفث عنه بهن وأمسح بيده نفسه لبركتها»(١).

فعائشة ـ رضي الله عنها ـ تعرف بركة يد رسول الله، ﷺ، فتمسح بها على نفسه الشريفة، وهو، ﷺ، **أقرها على ذلك**. ولم يقل لها لا فرق بين يدي ويدك! مما يدل على اختصاصه، ﷺ، بتلك البركة العظيمة، وأن تلك البركة العظيمة تنتقل ـ بإذن الله عز وجل ـ للمتبرك الذي يعلم أنها من الله تبارك وتعالى، خصّ بها أفضل الخلق كما ثبت في صحيح مسلم عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: «كان رسول الله، ﷺ، إذا صلى الغداة جاء خدم المدينة بآنيتهم فيها

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح ١٠/١٦٦

المـاء فما يؤتى بإنـاء إلا غمس يده فيه فربما جاءوه في الغداة الباردة فيغمس يده فيها». وقال أنس: «لقد رأيت رسول الله، ﷺ، والحـلاق يحلقـه وأطاف به أصحابه فما يريدون أن تقع شعـرة إلا في يد رجـل»(١) وفيه عن أنس أيضًـا، قال: كان النبي، ﷺ، يدخـل بيت أم سليم فينام على فراشها وليست فيه(٢). قال فجاء ذات يوم فنام على فراشها فأتيت فقيل لها هذا النبي، ﷺ، نام في بيتك على فراشك. قال فجاءت وقد عرق واستنقع عرقه على قطعة أديم على الفراش، ففتحت عتيدتها(٣) فجعلت تنشف ذلـك العرق فتعصره في قوارير ففزع النبي، ﷺ، فقال: «ما تصنعين ياأم سليم»؟ فقالت: يارسول الله نرجو بركته لصبياننا. قال: أصبت» وفي رواية «أدوف به طيبي»(٤)! وفي صحيح البخاري عن ثمامة عن أنس أن أم سليم كانت تبسط للنبي، ﷺ، نطعًا فيقيل عندها على ذلك النطع. قال: فإذا نام النبي، ﷺ، أخذت من عرقه وشعره فجمعته في قارورة

---

(١) صحيح مسلم مع النووي ١٥/٨٢

(٢) يلاحظ أن أم سليم محرم لرسول الله، ﷺ، كما قرره النووي. انظر ١٥/٨٧.

(٣) العتيدة كالصندوق الصغير تجعل المرأة فيه مايعز من متاع. انظر المصدر السابق ١٥/٨٧.

(٤) صحيح مسلم مع النووي ١٥/٨٧ وأدوف به طيبى، يعني أخلط به. انظر لسان العرب ٩/١٠٨.

ثم جمعته في سك [1] وهو نائم قال فلما حضر بأنس بن مالك الـوفـاة أوصى الى أن يجعل في حنوطه من ذلك السك، قال فجعل في حنوطه [2]. قال الذهبي قال: أيوب عن ابن سيرين فاستـوهبت من أم سليم من ذلك السك فوهبت لي منه قال أيوب فاستوهبت من محمد ذلك السك فوهب لي منه فإنه عندي الآن قال ولما مات محمد حنط بذلك السك [3].

* وفي هذا أيضًا ماوراه مسلم في صحيحه، عن السائب بن يزيد، قال: ذهبت بي خالتي إلى رسـول الله، ﷺ، فقـالت يارسول الله: ان ابن أختي وجع فمسح رأسي ودعا لي بالبركة، ثم توضأ فشربت من وضوئه، ثم قمت خلف ظهره فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه مثل زر الحجلة [4] [5].

* ومن ذلك ما رواه البخاري في صحيحه، من حديث صلح الحديبية وفيه: « . . . ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب النبي، ﷺ، بعينيه؛ قال: فوالله ماتنخم رسول الله، ﷺ، نخامة إلا

---

(١) السك هو طيب مركب يضاف إلى غيره. انظر الفتح ١/٥٩.
(٢) المصدر السابق.
(٣) سير أعلام النبلاء ٢/٣٠٧.
(٤) صحيح مسلم مع النووي ١٥/٩٨.
(٥) الحجلة واحدة الحجال وهي بيت كالقبة لها أزار كبار وعرى إنظر المصدر السابق.

وقعت في كفّ رجل منهم، فدلّك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، ومايُحدّون إليه النظر تعظيمًا له..»[1].

* وما رواه أيضًا عن أبي موسى ـ رضي الله عنه ـ قال كنت عند النبي، ﷺ، وهو نازل بالجعرانة بين مكة والمدينة، ومعه بلال، فأتى النبي، ﷺ، أعرابي فقال ألا تنجز لي ماوعدتني، فقال له: «ابشر»، فقال: قد أكثرت عليّ من أبشر، فأقبل على أبي موسى وبلال كهيئة الغضبان، فقال: «رد البشرى، فاقبلا أنتما»! قالا قبلنا ثم دعا بقدح فيه ماء فغسل يديه ووجهه فيه ومج فيه، ثم قال: «اشربا منه وأفرغا على وجوهكما ونحوركما وابشرا» فأخذا القدح ففعلا، فنادت أم سلمة من وراء السّترِ أنِ أفضلا لأمكما، فأفضلا لها منه طائفة[2].

* وما رواه أيضًا عن مالك بن إسماعيل حدثنا إسرائيل عن عثمان بن عبدالله بن موهب، قال: أرسلني أهلي إلى أم سلمة زوج النبي، ﷺ، بقدح من ماء وقبض إسرائيل ثلاث أصابع من فضة، فيه شعر من شعر النبي، ﷺ، وكان إذا اصاب

---

(١) صحيح البخاري ٣/ ١٨٠
(٢) صحيح البخاري ٥/ ١٠٣

الإنسان عين أو شيء بعث إليها مخضبه فاطلعت في الجلجل فرأيت شعرات حمرًا[1].

* وما رواه أيضًا بسنده عن سهل بن سعد، قال جاءت امرأة إلى النبي، ﷺ، ببردة فقال سهل للقوم أتدرون ما البردة؟ فقال القوم هي شملة، فقال سهل هي شملة منسوجة فيها حاشيتها. فقالت يارسول الله: أكسوك هذه؛ فأخذها النبي، ﷺ، محتاجًا إليها، فلبسها فرآها عليه رجل من الصحابة، فقال يارسول الله: ما أحسن هذه فأكسنيها، فقال: (نعم) فلما قام النبي، ﷺ، لامه أصحابه، فقالوا: ماأحسنت حين رأيت النبي، ﷺ، أخذها محتاجًا إليها، ثم سألته إياها. وقد عرفت أنه لا يسئل شيئًا فيمنعه. فقال: «رجوت بركتها حين لبسها النبي، ﷺ، لعلي أكفّن فيها»[2].

* فكل هذه الأحاديث الصحيحة وغيرها كثير، تدل على أن **رسول الله، ﷺ، ذاته وما انفصل من جسده من شعر، وعرق، ولباس، وما استعمله من الأواني قد جعل الله فيه من البركة** مايستشفي به، ويرجى بسببه الفائدة في الدنيا والآخرة،

---

(1) صحيح البخاري ٧/٥٧ والجلجل وعاء صغير لحفظ الشعر. وفي بعض روايات البخاري «. . . ثلاث أصابع من قصة فيها» وقبض إسرائيل ثلاث أصابع فيه إشارة إلى صغر القدح. انظر فتح الباري ١٠/٢٩٨.

(2) صحيح البخاري٧/٨٢.

والواهب لهذا الخير والمعطي له هو رب السموات والأرض **وهذه الأدلة المتكاثرة ترد ماذهب إليه العلامة المحقق محمد ناصرالدين الألباني**، في كتابه التوسل، أنواعه، وأحكامه، حيث قال: «ولكن ثمة أمر يجب تبيانه، وهو أن النبي، ﷺ، وإن أقر الصحابة في غزوة الحديبية وغيرها على التبرك بآثاره والتمسح بها، وذلك لغرض مُهمّ، وخاصة في تلك المناسبة، وذلك الغرض هو إرهاب كفار قريش، وإظهار مدى تعلّق المسلمين بنبيهم، وحبهم له، وتفانيهم في خدمته، وتعظيم شأنه، إلا أن الذي لا يجوز التغافل عنه ولا كتمانه هو أن النبي، ﷺ، بعد تلك الغزوة رغّب المسلمين بأسلوب حكيم وطريقة لطيفة عن هذا التبرك، وصرفهم عنه، وأرشدهم إلى أعمال صالحة، خير لهم منه، عند الله عز وجل، وأجدى، وهذا مايدل عليه الحديث الآتي:

عن عبدالرحمن بن أبي قراد ـ رضي الله عنه ـ أن النبي، ﷺ، توضأ يومًا، فجعل أصحابه يتمسحون بوضوئه، فقال لهم النبي، ﷺ: ما يحملكم على هذا، قالوا حبّ الله ورسوله، فقال النبي، ﷺ: من سرّه أن يُحبّ الله ورسوله، أو يحبّه الله ورسوله فليصدق حديثه إذا حدّث، وليؤد أمانته إذا أؤتمن، وليحسن جوار من جاوره. وعلّق على هذا الحديث في الهامش بقوله: وهو حديث ثابت، له طرق وشواهد في معجمي الطبراني

وغيرهما، وقد أشار المنذري في «الترغيب» ٣/ ٢٦ إلى تحسينه، وقد خرجته في «الصحيحة» برقم (٢٩٩٨)[1].

وتردّ ماذكره محمد رشيد رضا في حاشية كتاب الاعتصام، حيث قال: «ولم يعرف من الأحوال التي تبركوا فيها بفضل وضوئه وبصاقه إلا يوم الحديبية»[2].

وذلك لأن تبرك الصحابة كما تقدم لم يختص بغزوة عرض الأدلة ولم يعرف عن أحد من الصحابة رضوان الله عليهم انكاره، ولكن الذي أعجبني هو ما اشار إليه العلاّمة الألباني، بقوله: «هذا ولابد من الإشارة إلى أننا نؤمن بجواز التبرك بآثاره، ﷺ، ولا ننكره خلافًا لما يوهمه صنيع خصومنا، **ولكن لهذا التبرك شروطاً منها: الإيمان الشرعي** المقبول عند الله، فمن لم يكن مسلمًا صادق الإسلام فلن يحقق الله له أي خير بتبركه هذا، **كما يشترط للراغب في التبرك أن يكون حاصلاً على أثر من آثاره، ﷺ، ويستعمله، ونحن نعلم أن آثاره، ﷺ، من ثياب أو شعر أو فضلات قد فقدت**، وليس بإمكان أحد إثبات وجود شيء منها على وجه القطع واليقين، وإذا كان الأمر كذلك، فإن التبرك بهذه الآثار يصبح أمراً غير ذي موضوع في زماننا هذا ويكون أمرًا نظريًا محضًا، فلا ينبغي إطالة

---

(١) التوسل أنواعه وأحكامه للألباني ١٤٧.

(٢) حاشية الاعتصام ٢/ ١١.

القول فيه][1] وإنما ذكرت الأدلة على التبرك بذاته وآثاره، ﷺ، لتتضح الصورة الكاملة للتبرك الذي كان الصحابة يخصون به رسول الله، ﷺ، ولا يفعلونه مع أحد سواه، كما سيأتي في باب التبرك الممنوع.

(١) التوسل أنواعه وأحكامه ١٤٦.

الفصل الثاني:

التبرك المشروع بالأقوال والأفعال:

إنّ هناك أقوالاً، وأفعالاً، وهيئات مباركات، إذا جاء بها العبدالمسلم ملتمسًا الخير والبركة بسببها، متبعًا في ذلك سُنة نبيه محمد، ﷺ، **حصل له من الخير والبركة بقدر نيته واجتهاده**، إذا لم يكن هناك مانع شرعي يحول بين العبد وبين حصول المطلوب. **ومن هذه الأقوال مايلي**:

* **ذكر الله وتلاوة كتابه** يحصل للعبد بسببه من الخيرات والبركات الشيء العظيم وهذا أمر لا يخفى على مسلم والآيات والأحاديث في ذلك كثيرة، ولا أدل على ذلك من هذا الحديث العظيم، الذي يرويه البخاري في صحيحه، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله، ﷺ: «إن لله ملائكة يطوفون في الطريق يلتمسون أهل الذكر فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله تنادوا هلمُّوا إلى حاجتكم قال فيحفّونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا، قال فيسألهم ربهم عز وجل وهو أعلم منهم، مايقول عبادي! قالوا: يقولون يسبحونك، ويكبرونك، ويحمدونك، ويمجدونك، قال فيقول: هل رأوني! قال: فيقولون: لا والله مارأوك. قال: فيقول: كيف لو رأوني؟ قال:

يقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة، وأشد لك تمجيدًا واكثر لك تسبيحًا، قال: يقول: فما يسألوني؟ قال: يسألونك الجنة. قال: يقول: وهل رأوها قال: يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصًا، وأشد لها طلبًا، وأعظم فيها رغبة، قال: فمم يتعوذون! قال: يقولون: من النار، قال: يقول: وهل رأوها قال: يقولون: لا والله مارأوها! قال: يقول: كيف لو رأوها؟ قال: يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فرارًا وأشد لها مخافة، قال: فيقول: فأشهدكم أني قد غفرت لهم، قال: يقول: ملك من الملائكة فيهم فلان ليس منهم، إنما جاء لحاجة، قال: هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم.[1].

فانظر أيها الموفق رحمك الله إلى كثرة بركات الذكر، حيث اشتملت على غفران الذنوب ودخول الجنة، ولم تقتصر هذه البركة على الذاكرين وحدهم، بل شملت حتى الجالسين معهم، كما هو نص الحديث، وتلاوة كتاب الله من أعظم أنواع الذكر، وفيها من البركات في الدنيا والآخرة ما لايحصيه إلا الله عز وجل. روى مسلم في صحيحه عن أبي أمامة الباهلي، قال سمعت رسول الله، ﷺ، يقول: «اقرؤا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه، اقرؤا الزهراوين، البقرة وسورة آل

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح ١١/١٧٧

عمـــران، فإنهما تأتيان يوم القيامـة كأنهما غمامتـان، أو كأنهما غيايتـــان[1]، أو كأنهما فرقـــان من طير صواف تحاجّـــان عن أصحـابهـما. اقـرؤا سورة البقـرة، فإن أخـذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستـطيعهـا البـطلة» قال معاوية بلغني أن البطلة السحرة[2]. ومن بركات كتاب الله عز وجل، أنه يستشفى به، كما ثبت عن رسول الله، ﷺ، أنه كان يقرأ على نفسه بالمعوذات وأقـرّ من قرأ بفـاتحة الكتاب على اللديغ[3]. وكذلك الأدعية النبوية الثابتة عن رسول الله، ﷺ، أنه كان يعوذ بعض أهله، يمسح بيده اليمنى ويقول: «اللهم رب الناس أذهب الباس واشفه وأنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقمًا)[4] فذكر الله وتلاوة القرآن والمحافظة على الأدعية النبوية فيه من الخـير والبركة الشيء العظيم، كما قال رسول الله، ﷺ، مثل «الذي يذكر ربه والذي لايذكر ربه مثل الحي والميت)[5] فهل هناك وجه مشابهة بين الحي والميت؟ وذلك فضل الله يوتيه من

(١) الغمامة والغياية كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه من سحابة وغبرة وغيرهما انظر النووي ٦/٩٠.
(٢) صحيح مسلم مع شرح النووي ٦/٩٠، ومعـاوية هو معاوية بن سلام راوي هذا الحديث.
(٣) انظر صحيح البخاري مع الفتح ١٠/١٦٥-١٦٩
(٤) المصدر السابق ١٠/١٧٦
(٥) صحيح البخاري مع الفتح ١١/١٧٧.

يشاء وقد ذكر العلامة ابن القيِّم في كتابه القيِّم «الوابل الصيب من الكلم الطيب» أن للذكر اكثر من مائة فائدة وعدد منها أكثر من سبعين فائدة [1]

* **وبالإضافة إلى تلك الأقوال المباركات، فإن هناك أفعالاً إذا** التزم بها العبد المسلم متابعة لرسول الله، ﷺ، فإنه سوف يحصل على بركة عظيمة بإذن الله تعالى، منها الاجتماع على الذكر، كحلق العلم ونحوها بخلاف الصيغ المعينة التي يقولها العبد منفرداً والفيصل في هذا هدى المصطفى ﷺ وهدى أصحابه الكرام رضوان الله عليهم وقد تقدم فضل هذا الأمر قريباً[2].

ومنها التقدم في ساحات الوغى، والحصول على الشهادة في سبيل الله، فإن هذا الفعل فيه من البركة التي لم تعرف بركة أعظم منها إلا بركة الإيمان أو بركة الرسالة والنبوة، فعن المقدام بن معد يكرب قال: قال رسول الله، ﷺ، «للشهيد عند الله ست خصال يغفر له في أول دفعة، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منها، خير من الدنيا وما فيها ويزوج اثنين وسبعين زوجة من الحور العين، ويشفع في سبعين من أقاربه»[3].

(1) انظر الوابل الصيب لابن القيِّم ص٥٢ ومابعدها.

(2) انظر صحيح البخاري مع الفتح ١/١٧٧.

(3) صححه الألباني في صحيح الترمذي ٢/١٣٢، وقد رواه الترمذي برقم ١٧٢٨.

ومن الهيئات المباركة الاجتماع على الطعام والأكل من جوانب القصعة، ولعقَ الأصابع، وكيل الطعام، لما روى عن رسول الله، ﷺ، أنه قال: «.. فاجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله عليه يبارك لكم فيه»(١).

وقال ﷺ: «البركة تنزل في وسط الطعام فكلوا من حافتيه ولا تأكلوا من وسطه»(٢). وقال ﷺ: «إذا أكل أحدكم فليلعقن أصابعه، فإنه لايدري في أيتهن البركة»(٣). وقال ﷺ: «كيلوا طعامكم يبارك لكم»(٤).

وبالجملة فكل قول أو فعل أمر به الله عز وجل او أمر به رسوله، ﷺ، فقام به العبد إيمانًا بالله، وتصديقًا لرسوله، وامتثالاً لأمر الله ومتابعة لهدى نبيه ﷺ فلا شك أنه سوف يحصل على بركة عظيمة في دنياه وآخرته، وهذا يشمل الإيمان كاملًا فإن الإيمان هو قول القلب، وقول اللسان، وفعل

---

(١) مسند أحمد ٣/٥٠١ وحسنه الألباني في صحيح أبي داود ٢/٧١٧، ورواه أبوداود برقم ٣٧٦٤ وابن ماجة ٣٢٨٦.

(٢) مسند أحمد ١/٢٧٠ وصححه الألباني في صحيح أبي داود ٢/٧١٩، ولكن لفظه عند ابي داود «اذا أكل أحدكم طعامًا فلا يأكل من أعلى الصفحة ولكن ليأكل من أسفلها فإن البركة تنزل من أعلاها». أبوداود برقم ٣٧٧٢، ورواه ابن ماجة برقم ٣٢٧٧.

(٣) مسند أحمد ٢/٣٤١.

(٤) صحيح البخاري كتاب البيوع باب ٥٢ انظر صحيح البخاري ٣/٢٢.

القلب، وفعـــل اللســـان، كما هو معلوم عند أهـل السُّنـة والجماعة[1]. والشخص المبارك هو من وفق للقيام بالإيمان.

---

(١) انظر شرح الطحاوية ص٣٧٣، ومابعدها، وقارن بها في كتاب الصلاة لابن القيِّم ص٥٣ ومابعدها.

الفصل الثالث

التبرك المشروع بالأمكنة

هناك أمكنة معينة في هذه الأرض جعل الله فيها بركة عظيمة، فمن التمس هذه البركة في تلك الأمكنة نالها بإذن الله تعالى، إذا تحقق في عمله الإخلاص والمتابعة، لرسول الله، ﷺ، فمن هذه الأمكنة.

المساجد:

لما ثبت عن رسول الله، ﷺ، أنه قال: «أحب البلاد إلى الله تعالى مساجدها، وأبغض البلاد إلى الله تعالى أسواقها»[1].

والتبرك بالمساجد لايكون بالتمسح بترابها ولا بجدرانها ونحو ذلك، لأن التبرك عبادة، ويشترط فيها المتابعة والتماس البركة في المساجد. إنما يكون بالاعتكاف فيها وانتظار الصلوات، وصلاة الجماعة، وحضور مجالس الذكر، ونحو ذلك، مما هو مشروع. أما مالم يكن مشروعًا فلا بركة فيه، بل هو من البدع، ومن المساجد التي لها مزية وزيادة في البركة المسجد الحرام، ومسجد رسول الله، ﷺ، والمسجد الأقصى،

---

(١) صحيح مسلم مع شرح النووي ٥/١٧١.

ومسجد قباء، لقوله، عليه الصلاة والسلام، كما في الصحيحين: «صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام» وعند الإمام أحمد بزيادة «وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة صلاة في هذا»(١). ولقوله، ﷺ، «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، مسجدي هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى»(٢). ولقوله، ﷺ: «من تطهر في بيته، ثم أتى مسجد قباء وصلى فيه صلاة كان له كأجر عمرة»(٣). وثبت أن رسول الله، ﷺ، (كان يأتيه كل سبت»(٤).

ومن الأمكنة المباركة، مكة والمدينة والشام، لقول الرسول، ﷺ، عن مكة: «والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أُخرجت منك ماخرجت»(٥).

ولقوله، ﷺ: «إن إبراهيم حرّم مكة ودعا لأهلها، وإني

---

(١) المسند ٤/٥ وصحيح البخاري ٢/٥٧، وصحيح مسلم، بشرح النووي ٩/١٦٣.
(٢) صحيح البخاري ٢/٥٨، وصحيح مسلم بشرح النووي ٩/١٦٨.
(٣) مسند أحمد ٣/٤٨٧ والمستدرك ٣/١٢ وسنن النسائي ٢/٣٧، وابن ماجة برقم ١٤١٢ وصححه الألباني في صحيح ابن ماجة ١/٢٣٨.
(٤) صحيح البخاري ٢/٥٧، وصحيح مسلم بشرح النووي ٩/١٧٠.
(٥) مسند أحمد ٤/٣٠٥، والمستدرك ٣/٧ على شرط الشيخين ووافقه الذهبي وابن ماجة برقم ٣١٠٨، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجة ٢/١٩٦

حرمت المدينة كما حرّم إبراهيم مكة، وإني دعوت في صاعها ومدها بمثلي مادعا إبراهيم لأهل مكة»[1].

وقال، ﷺ: «إني أحرم مابين لابتي المدينة أن يقطع عضاهها، أو يُقتل صيدها. وقال المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون لايدعها أحد رغبة عنها إلا أبدل الله فيها من هو خير منه، ولا يثبت أحد على لأوائها وجهدها إلا كنت له شفيعًا أو شهيدًا يوم القيامة»[2].

وقال، ﷺ، «على أنقاب المدينة ملائكة لايدخلها الطاعون ولا الدجال»[3].

وقال، عليه الصلاة والسلام: «من أراد اهلها بسوء أذابه الله كما يذوب الملح في الماء»[4].

وقال، ﷺ: «طوبى للشام فقلنا لأي شيء ذاك، فقال: لأن ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليه»[5].

ومما يدل على ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿**سبحان الذي أسرى بعبده ليًلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله**﴾(سورة الاسراء، الآية: ١).

---

(١) (٢) (٣) صحيح مسلم بشرح النووي ٩/ ١٣٤ ومابعدها.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي ١٥٧/٩.

(٥) مسند أحمد ٥/ ١٨٥ والمستدرك ٢/ ٢٢٩، وقال صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ٢/ ٥٥.

فمن سكن في مكة أو المدينة أو الشام ملتمسًا لبركات الله عز وجل في تلك البقاع سواء من زيادة ارزاقها أو دفع الفتن عنها، فقد وفق إلى خير كثير أما لو تعدى العبد في طلب التبرك كأن يتمسح بترابها واحجارها وأشجارها، وكأن يضع تربتها في الماء للاستشفاء بها ونحو ذلك، فإنه مأزور غير مأجور! لأنه سلك في التبرك مسلكًا لم يفعله رسول الله، ﷺ، ولم يفعله الرعيل الأول، وسيأتي لهذا مزيد بيان في آخر البحث.

وكذلك المشاعر المقدسة، كعرفة، ومزدلفة، ومنى، لا شك أنها من الأمكنة المباركة، لكثرة الخير الذي ينزل على الناس، في تلك الأماكن من غفران الذنوب والعتق من النيران، وحصول الأجر الكبير، ببركة الاقتداء برسول الله، ﷺ، والوقوف فيها في الأوقات المشروعة، بخلاف مالو ذهب شخص إلى عرفة في غير يوم عرفة يلتمس البركة بوقوفه فيها كما سيأتي.

الفصل الرابع

التبرك المشروع بالأزمنة

هنـاك أزمنـة مباركة خصها الله عز وجل بزيادة فضل وبـركة، فمن تحرى الخير فيها وتبرك بحلولها عليه، وقام بما يشرع له فيهـا من عبـادة ناله من البركات العظيمة ماالله بها عليم، كشهـر رمضـان، وليلة القـدر، وثلث الليـل الأخير والجمعة، والإثنين، والخميس، والأشهر الحرم، وعشر ذي الحجة.

* كما قال، ﷺ، عن شهـر رمضان: «قد جاءكم رمضان، شهر مبارك، افترض الله عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب الجنة وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغلّ فيه الشياطين، فيه ليلة خير من إلف شهـر من حُرم خيرهـا فقد حُرم»(١). والبركات التي يجعلهـا الله في رمضـان لمن وفق للخـير لا تخفى من فضيلة الصيام، وغفـران الـذنـوب، وزيادة رزق المؤمن، والمنـافـع الصحية، والتربوية، والأجر العظيم، عند الله تبارك وتعالى، فهو بحق زمن مبارك.

* وأما ليلة القدر فشأنها عظيم، كما قال تعالى: ﴿إنا أنزلناه

---

(١) مسند احمد ٢/ ٢٣٠ وقال الألباني: هو حديث جيد لشواهده كما في مشكاة المصابيح ١/٦١٢.

في ليلة القدر. وما أدراك ماليلة القدر. ليلة القدر خير من الف شهر تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر سلام هي حتى مطلع الفجر﴾. وقال سبحانه: ﴿إنا أنزلناه في ليلة مباركة﴾(سورة الدخان الآية: ٢) ولعظم بركة هذه الليلة، أمر رسول الله، ﷺ، بالتماسها، فقال: «تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان»(١).

ومن الأزمنة المباركة عشر ذي الحجة، كما قال الرسول، ﷺ، «ماالعمل في أيام أفضل منها في هذه العشر قالوا ولا الجهاد قال ولا الجهاد إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشيء»(٢).

* **وفضل يوم عرفة على الحاج معلوم،** إذ يُباهي الله ملائكته بالواقفين في صعيد عرفات، ماجاءوا إلا لطلب المغفرة، ومن صامه من غير الحجاج حصل له من البركات شيء لم يخطر ببال، ألا وهو تكفير سنتين من الذنوب. قال، ﷺ: «ثلاث من كل شهر ورمضان إلى رمضان فهذا صيام الدهر كله، وصيام يوم عرفة احتسب على الله أن يُكفّر السنة التي قبله

---

(١) صحيح البخاري كتاب الصوم باب تحري ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر، انظر صحيح البخاري مع الفتح ٤/٢٢٦.

(٢) صحيح البخاري كتاب العيدين باب الفضل في أيام التشريق، انظر صحيح البخاري مع الفتح ٢/٣٨٣.

والسنة التي بعده، وصيام يوم عاشوراء احتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله»[1].

* وقال، صلى الله عليه وسلم: «خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة»[2]. وقال، ﷺ، عن يوم الجمعة: فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله تعالى شيئًا إلا أعطاه إياه، وأشار بيده يقللها»[3].

* وقال، صلى الله عليه وسلم: «تفتح أبواب الجنة يوم الإثنين، ويوم الخميس، فيُغفر لكل عبد لايشرك بالله شيئًا إلا رجلًا كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال انظروا هذين حتى يصطلحا، انظروا هذين حتى يصطلحا، انظروا هذين حتى يصطلحا»[4].

* **وأما ثلث الليل الأخير، فهو وقت النزول الإلهي**، وإذا نزل الله سبحانه إلى السماء الدنيا نزلت بركة عظيمة للداعين والمستغفرين، كما قال، ﷺ: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة

---

(١) صحيح مسلم مع النووي ٨/ ٥٠.

(٢) صحيح مسلم كتاب الجمعة. انظر صحيح مسلم بشرح النووي ٦/ ١٤١.

(٣) صحيح البخاري كتاب الجمعة. باب الساعة التي في يوم الجمعة، انظر صحيح البخاري مع الفتح ٢/ ٣٤٥.

(٤) صحيح مسلم كتاب البر والصلة باب النهي عن الشحناء. انظر صحيح مسلم بشرح النووي ١٦/ ١٢٢.

إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول من يدعوني فأستجب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له»[1].

قلت وهل هناك بركة على العبد المسلم أعظم من غفران الذنوب؟ جعلنا الله من الذين يغفر الله لهم ذنوبهم جميعًا.

* **ومما تقدم يتضح أن الأزمنة تختلف عن بعضها**، وأن لبعضها مزية خصها الله تبارك وتعالى بها، ويكون فيها من الخير والفضل والبركة الشيء الكثير، وان التماس البركات في هذه الأزمنة يكون بالطريقة المشروعة التي أرشد إليها رب العالمين. أو سيد المرسلين، ﷺ، ولو التمس عبد بركة هذه الأزمنة المباركة بعمل غير مشروع فإنه لا يوفق لتلك البركات، لأن التماس البركة عبادة، والعبادة لها شروط معينة، كما تقدم، وكما سيأتي أيضًا. ومن أخل بشروط العبادة فإنه يقضي ببدعته على البركة المرجوة، وينعكس الأمر في حقه من بركة إلى شؤم أعاذنا الله من ذلك.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿يريدون أن يبدلوا كلام الله﴾ ٨/١٩٧.

الفصل الخامس

التبرك المشروع بالمطعومات ومافي حكمها

* من الأطعمة التي تلتمس فيها البركة الزيت المستخرج من شجرة الزيتون، لقوله تعالى: ﴿يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية، يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار﴾(سورة النور الآية: ٣٥) ولقوله، ﷺ: «كلوا الزيت وادهنوا به فإنه من شجرة مباركة»[١] وقال، ﷺ: «ائتدموا بالزيت وادهنوا به فإنه من شجرة مباركة»[٢].

* ومن ذلك اللبن، لما روي عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: كان رسول الله، ﷺ، إذا أتى باللبن قال كم في البيت بركة أو بركتين[٣] ولما روى عن ابن عباس، قال قال، رسول الله، ﷺ، «من أطعمه الله طعامًا فليقل اللهم بارك لنا فيه وارزقنا خيرًا منه ومن سقاه الله لبنا فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه فإني لا اعلم مايجزيء من الطعام والشراب إلا اللبن»[٤]

---

(١). مسند أحمد ٣/٤٩٧، والحاكم في المستدرك ٢/٣٩٨ وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢) صحيح ابن ماجة للألباني ٢/٢٣٣، وقد أخرجه ابن ماجة برقم ٣٣١٩.

(٣) مسند أحمد بن حنبل ٦/١٤٥.

(٤) حسنه الألباني في صحيح ابن ماجة ٢/٢٣٣، وقد أخرجه ابن ماجة برقم ٣٣٢٢.

* **ومن الأطعمة التي لها بركة كبيرة في الدواء، الحبة السوداء، والعجوة، والكمأة**، لما روي عن رسول الله، ﷺ، أنه قال: «إن في الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام»[1] وقال، ﷺ: «الكمأة من المنّ وماءها شفاء للعين، والعجوة من الجنة، وهي شفاء من الجنة»[2] وقال، ﷺ: «من تصبح سبع تمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر»[3].

* **ومن ذلك العسل** لما جاء عن أبي سعيد قال، جاء رجل إلى النبي، ﷺ، فقال: «إن أخي استطلق بطنه! فقال «اسقه عسًلا» فسقاه ثم جاء فقال يارسول الله: قد سقيته عسلاً فلم يزده الا استطلاقًا! قال فقال، رسول الله ﷺ، «اسقه عسًلا» قال فسقاه ثم جاء فقال يارسول الله إني سقيته فلم يزده إلا استطلاقًا قال فقال رسول الله، ﷺ، «صدق الله وكذب بطن أخيك اسقه عسًلا فسقاه فبرأ»[4] والمراد والله اعلم قول الله تعالى: ﴿يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس﴾. (سورة النحل الآية: ٦٩).

---

(١) (٢) صحيح ابن ماجة للألباني ٢/٢٥٤، وقد أخرجهما ابن ماجة برقم ٣٤٢٨ ورقم ٣٤٥٣.

(٣) صحيح البخاري مع الفتح ١٠/٢٠٤.

(٤) صحيح البخاري مع الفتح ١٠/١١٩.

* **ومن ذلك ماء زمزم**، كما قال، ﷺ: «إنها مباركة، إنها طعام طعم»[١] ومن ذلك ماء المطر، كما قال تعالى: ﴿ونزلنا من السماء ماءً مباركًا﴾ (سورة ق الآية: ٩) ولما جاء عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال أصابنا ونحن مع رسول الله، ﷺ، مطر قال فحسر رسول الله، ﷺ، ثوبه حتى أصابه من المطر، فقلنا يارسول الله لم صنعت هذا قال لأنه حديث عهد بربه تعالى[٢].

ولما روى عن ابن عباس - رضي الله عنه - أنه كان إذا مطرت السماء يقول: ياجارية أخرجي سرجي، أخرجي ثيابي، ويقول ونزلنا من السماء ماء مباركًا [٣]

* **ومما يلحق بها سبق الخيل**، فقد ثبتت بركتها، لقول الرسول، ﷺ، البركة في نواصي الخيل. وقوله ﷺ: «**الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة الأجر والمغنم**»[٤].

* **والغنم** لأن الرسول، ﷺ، سئل عن الصلاة في مرابض الغنم، فقال: «صلوا فيها فإنها بركة» [٥] وقال لأم هانىء:

---

(١) صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أبي ذر انظر صحيح مسلم بشرح النووي ١٦/٣٠.

(٢) صحيح مسلم كتاب الاستسقاء باب الدعاء في الاستسقاء انظر صحيح مسلم بشرح النووي ٥/١٩٥.

(٣) الأدب المفرد ص١٨٠ باب التيمن بالمطر.

(٤) صحيح البخاري كتاب الجهاد ٣/٢١٥.

(٥) صحيح ابي داود للألباني ١/٣٧ وقد أخرجه ابوداود برقم ١٨٤.

«اتخذي غنمًا فإن فيها بركة»[1].

* والنخل لما أخرج البخاري عن عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - قال بينما نحن عند النبي، ﷺ، جلوس إذ أتى بجمار[2] نخلة، فقال النبي، ﷺ، «إن من الشجر لما بركته كبركة المسلم». فظننت أنه يعني النخلة فأردت أن أقول هي النخلة يارسول الله؟ ثم التفت فإذا أنا عاشر عشرة أنا أحدثهم، فسكت فقال النبي، ﷺ، «هي النخلة»[3].

فهذه المطعومات والمشروبات المباركات فيها بركة خصها الله بها من بين سائر الأنواع الأخرى، غير أن استعمالاتها لا يتعدى بها الوجه المشروع والمباح والله تعالى أعلم.

---

(١) صحيح ابن ماجة للألباني ٢/٣٢ وقد أخرجه ابن ماجة برقم ٢٣٠٤.
(٢) الجمار قلب النخلة وشحمتها: النهاية ١/٢٩٤.
(٣) صحيح البخاري، كتاب الأطعمة باب أكل الجمار ٦/٢١١.

الباب الثاني

التبرك الممنوع

تمهيد في التبرك عند أهل الجاهلية الأولى

الفصل الأول:

التبرك الممنوع بالأمكنة والجمادات.

الفصل الثاني:

التبرك الممنوع بالأزمنة.

الفصل الثالث:

التبرك الممنوع بذوات الصالحين واثارهم.

تمهيد في:

التبرك عند أهل الجاهلية الأولى:

تقدم معنا في أول هذا البحث أن المبارك في اللغة مايأتي من قبله الخير الكثير، وأن البركة تعني: النماء والزيادة، وعلى هذا فإن أهل الجاهلية كحال أي إنسان يرغبون في النماء والزيادة في أموالهم، وأبدانهم، وقبائلهم، وأولادهم، وكل مايحتاجونه في هذه الحياة الدنيا، وهذا النماء والزيادة الذي هو جوهر البركة إنما يطلبونه من أصنامهم، لاعتقادهم أن هذه الأصنام يأتي من قبلها الخير الكثير، وأنها مباركة، وحتى الذين ينسبون الفعل إلى الله عز وجل، فهم يعتقدون أن هذه الأصنام ومايسكنها من روحانيات، لها تأثير في التأثير على الله - تنزه عن قول الكفرة - لكي يحقق لهم مايريدون وهذا معنى قولهم: ﴿مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾. ولأجل ذلك كان طلب التبرك مظهرًا من مظاهر الوثنية في الجاهلية الأولى.

يقول الألوسي: وكان لأهل كل دار من مكة صنم في دارهم يعبدونه، فإذا أراد أحدهم السفر كان آخر مايصنع في منزله، أن يتمسح به. وإذا قدم من سفره كان أول مايصنع اذا

دخـل منزله أن يتمسح به[1] **قلت** ولا شك أن هذا التمسح يقصد به المتمسح البركة في البدن بواسطة هذا الصنم **لكون الصنم عنده ذات مباركة** وهو محل للبركة وبالتمسح ينتقل جزء من الـبركـة إلى المتمسح وأحيانًا يجتمع في قصد العابد للوثن التعـظيم، وطلب البركة، **يقول الصالحي** وقال ابن اسحاق: ويزعمـون أن أول ماكانت عبادة الحجارة في بني إسماعيل أنه كان لايظعن من مكة ظاعن منهم حين ضاقت عليهم والتمسوا الفسح في البلاد الا حمل معه حجرًا من حجارة الحرم، تعظيمًا للحرم فحيثما نزلوا وضعوه فطافوا به كطوافهم بالكعبة، حتى سلخ ذلك بهم إلى أن كانوا يعبدون مااستحسنوا من الحجارة وأعجبهم حتى خلفت الخلوف ونسـوا ماكانوا عليه واستبدلوا بدين إبـراهيم وإسـماعيل صلى الله عليهما وسلم غيره فعبدوا الأوثان، وصاروا إلى ماكانت عليه الأمم قبلهم من الضلالات، وفيهم على ذلك بقايا من عهد إبراهيم يتمسكون بها من تعظيم البيت والطواف به[2].

وبهذا يتبين أن التبرك بأحجار مكة وتعظيمها بطريقة غير مشروعة، جرّهم إلى عبادة الأصنام وتعظيمها، وتقديم شعائر

---

(١) بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ٢/٢٠٦.
(٢) سبل الهدى والرشاد للصالحي ٢/٢٤٢.

العبادة لها، من الذبح والنذر، واعتقادهم فيها النفع والضرّ في الأنفس والأموال، فكثيرًا مانجد أن أهل الجاهلية الأولى يأتون بأنعامهم وأموالهم إلى الأصنام، لتحصل فيها البركة، أو يزول عنها المرض ببركة تلك الأصنام المعظمة.

يقول الصالحي: وكان لبني ملكان بن كنانة بن خزيمة بن مدركة صنم يقال له سعد صخرة بفلاة من أرضهم طويلة، فأقبل رجل من بني ملكان بإبل له مؤبلة ليقفها عليه، التماس بركته فيما يزعم، فلما رأته الإبل وكانت مرعية لا تركب وكان يراق عليه الدماء، نفرت منه فذهبت في كل وجه وغضب ربها الملكاني فأخذ حجرًا فرماه به، ثم قال لا بارك الله فيك نفّرت على إبلي ثم خرج في طلبها حتى جمعها فلما اجتمعت له قال:

أتينا إلى سعد ليجمع شملنا ... فشتتنا سعد فلا نحن من سعد

وهل سعد إلا صخرة بتنوفة ... من الأرض لا يدعى لغى ولا رشد[1]

والبيت الأخير يدلّ على أن الرجل ثاب إلى رشده، وعرف أن هذا الصنم لايمنح البركات، ولا يطلب منه شيء، فهو حجر لا يضرّ ولا ينفع، ولو لا انكشاف هذا الأمر له، لما رماه بالحجر، لاسيما وقد صرّح في شعره بأنه لا يدعى لغى ولا رشد أي لا يستحق أن يدعى والا فالأصنام كانت تدعى في واقع الحال فإن الجاهليين لا يجرأون على مثل هذا لخوفهم من

(١) المصدر السابق ٢/٢٤٣.

أن يلحقهم أذى بسبب الأصنام، فهاهم ثقيف قد خافوا من هدم الــلات وظنـوا أنها سوف تُلحق بهادمهـا الضرر، حتى تكشفت لهم الحقائق، فقد قال وفدهم لرسول الله، ﷺ، «. . أرأيت الربة ماذا نصنع فيها؟ **قال**: اهدمنها **قالوا**: هيهات لو تعلم الـربـة أنـك تريد هدمهـا قتلت أهلهـا. **فقال** عمر بن الخطاب ويحك ياعبد ياليل ماأحمقك إنما الربة حجر. **قالوا**: إنا لم نأتـك ياابن الخـطاب، ثم **قالـوا**: يارسـول الله تولى أنت هدمها، فأما نحن فلا نهدمها أبدًا. **فقال** سأبعث من يكفيكم هدمها، فرجعوا إلى بلادهم، وبعث رسول الله، ﷺ، سرية منهم أبوسفيان بن حرب، ومنهم المغيرة بن شعبة، وأمّر عليهم خالد بن الوليد، فلما قدموا عليهم عمدوا إلى اللات ليهدموها، وانكفت ثقيف كلهـا الـرجـال والنسـاء والصبيان حتى خرج العـواتق من الحجـال، وهم لايرون أنها تهدم، ويظنون أنها ستمتنع، فأخذ المغيرة بن شعبة فأسًا كبيرة وقال لأصحابه ألا أضحكنكم من ثقيف؟! **قالـوا** بلى فضرب بالمعول ضربة ثم صاح وخر مغشيًّا على وجهه، فارتجت الطائف بالصياح سرورًا بأن الـلات قد صرعت المغـيرة، وأقبلوا **يقـولون** كيف رأيتها يامغيرة دونكها إن استطعت! ألم تعلم أنها تهلك من عاداها، من شاء منكم فليقترب وليجدّ على هدمها، فوالله لا تستطاع أبدًا، فوثب المغيرة يضحك منهم، **ويقول**: والله يامعشر ثقيف

ماقصدت إلا الهزء بكم. إنما هي لكاع حجارة ومدر، ثم ضرب الباب فكسره، ثم علوا سورها فما زالوا يهدمونها حتى سووها بالأرض وجعل صاحب المفاتيح، **يقول ليغضبن** الأساس، فليخسفن بهم الأرض، فلما سمع ذلك المغيرة، **قال** لخالد دعني أحفر أساسها فحفروه حتى أخرجوا ترابها وحرقوها بالنار، ثم أخذوا حليها وثيابها وكسوتها..»[1]

* ومثل هذا الرجل الذي كفر بالصنم (**سعد**)، إذ شرّد عليه أبله بمنظره ولم يمنحه البركة - كما كان يتوقع - غاوي بن عبدالعزى السلمي، إذ كان عند صنم لبني سليم قيل إنه سواع، فأقبل ثعلبان يشتدان حتى تسنماه، فبالا عليه، فقال:

أرَبٌ يبولُ الثعلبانُ برأسهِ لقد ذلَّ من بالتْ عليه الثعالبُ

ثم قال: يامعشر سليم لا والله! هذا الصنم لا يضر، ولا ينفع، ولا يعطي، ولا يمنع، فكسره ولحق بالنبي، ﷺ، عام الفتح فقال النبي، ﷺ، ما اسمك؟ فقال: غاوي بن عبدالعزى فقال بل أنت راشد بن عبدربه، وعقد له على قومه[2]، ومثل هذا عمروبن الجموح أحد سادات بني سلمة وأشرافهم، فقد اتخذ في داره صنمًا من خشب فلما أسلم فتيان

---

(١) اديان العرب في الجاهلية لمحمد نعمان بن الجارم ص١٥٠، وقارن بما في الروض الأنف للسهيلي ص١٩٩/٤.

(٢) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، للدكتور جواد علي ص٢٥٩.

بني سلمة أخذوه فطرحوه في حفرة ترمى فيها العذرة وربطوه مع كلب ميت فلما رأى هذا المنظر ثاب إلى رشده، وهداه الله للإسلام، فأنشد، يقول:

والله لو كنت إلاهًا لم تكن ... أنت وكلب وسط بئر في قرن
أف لملقاك إلها مستدن ... الآن فتشناك عن سوء الغبن
الحمد لله العلي ذي المنن ... الواهب الرزق ديان الدين
هو الذي انقذني من قبل أن ... أكون في ظلمة قبر مرتهن[1]

ومن تبرك الجاهلية الأولى بأصنامها، وأوثانها، أنها تظن فيها أنها تبارك في الأسلحة التي يحاربون بها، وبسبب هذه البركة ينتصرون على أعدائهم، يدل على ذلك ماروواه أبوواقد الليثي قال خرجنا مع رسول الله، ﷺ، إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها ذات أنواط، فقلنا يارسول الله اجعل لنا ذات انواط كما لهم ذات انواط فقال رسول الله، ﷺ، الله أكبر إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنوا إسرائيل لموسى: اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة لتركبن سنن من كان قبلكم»[2].

(١) انظر أديان العرب في الجاهلية ص١٥٧.
(٢) مسند أحمد ٥/٢١٨ وقد قال عنه صاحب النهج السديد بأنه حديث صحيح وذكر أغلب المحدثين الذين خرجوه. انظر ص٦٤.

قال الشيخ عبـــدالـرحمن بن حسن آل الشيخ ، ومعنى ينوطون بها أسلحتهم أي يعلقونها عليها للبركة[1] ولم يقتصر تبرك الجاهلية الأولى بالأصنام والأوثان، بل إن السدنة يتبرك بهم وبملابسهم بسبب قربهم وخدمتهم للأصنام[2].

يقول الشاطبي :

«. . . فربما اعتقد في التبرك به ماليس فيه وهذا التبرك هو أصل العبادة ولأجله قطع عمر رضي الله عنه الشجرة التي بويع تحتها رسول الله ﷺ بل هو كان أصل عبادة الأوثان في الأمم الخالية حسبما ذكره أهل السير. . »[3].

---

(١) فتح المجيد١٤٣ .

(٢) انظر المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام٢٢٢ .

(٣) الاعتصام للشاطبي ص٩.

الفصل الأول

التبرك الممنوع بالأمكنة والجمادات

لقد تقدم الكلام على الأمكنة المباركة، كالمساجد، والمشاعر المقدسة، ومكة، والمدينة، وأرض الشام، وأن هذه أمكنة مباركة يكثر فيها الخير، ولكن التبرك بتلك الأمكنة يقتصر به على المشروع، **فلا تقبّل نوافذ واعتاب المساجد ولا يستشفى بترابها، ولا يقف احد بالمشاعر المقدسة في غير الأوقات المشروعة، التماسًا للبركة، وذلك لأن التبرك عبادة والعبادة مبناها على الاتباع والتوقيف** عن صاحب الشريعة، ﷺ، **ولكن أصحاب البدع، وأهل الغلو،** لم يقتصروا على الاتباع في التبرك بالأمكنة المباركة، **بل أنهم تبركوا بقبور الصالحين، وبكل مكان ارتبط بحدث مبارك، كمكان مولده،** ﷺ، والأمكنة التي مرّ بها رسول الله، ﷺ، أو صلى بها اتفاقًا من غير قصد لبقعة معينة، أو جلس فيها اتفاقًا كغار جبل ثور ونحو ذلك.

يقول يوسف السيد هاشم الرفاعي: **«وقصد الأماكن والمعالم المباركة التي يرجى فيها استجابة الدعاء والتوسل كالمساجد، والأضرحة شرع منصوص**[1]**.**

---

(١) الرد المحكم المنيع ص٧٥.

ويقول محمد علوي عن مكان مولد النبي، ﷺ: وقد وفق الله تعالى المرحوم الشيخ عباس قطان أمين العاصمة المقدسة، بعد أن استأذن من جلالة الملك عبدالعزيز - يرحمهما الله - فأعاد بناء هذا البيت بعد أن تهدم وصار خرابًا مهجورًا، ووضعت فيه مكتبة عامة عظيمة ضخمة، تسمى بمكتبة مكة المكرمة، مفتوحة للمطالعة والمراجعة، وذلك حفظًا لشرف المكان بما يناسبه»[١].

وقد عقد محمد علوي عباس عنوانًا في كتابه «في رحاب البيت الحرام» بمسمى: الأماكن والمساجد المأثورة بمكة المكرمة، وأطرافها، ثم ذكر مولد النبي، ﷺ، وبيت السيدة خديجة، ومولد علي بن أبي طالب، ودار الأرقم بن أبي الأرقم، وغار حراء، وغار ثور، مما يشعر بأنه يُريد إبراز هذه الأمكنة للناس حتى يتمكنوا من زيارتها والتبرك بها، بما يخالف هدى الصحابة رضوان الله عليهم.

ويقول محمد أمين الكردي: ومايفعله العامة، من تقبيل أعتاب الأولياء والتابوت الذي يجعل فوقهم فلا بأس به، إن قصدوا بذلك التبرك[٢].

---

(١) في رحاب البيت الحرام ص٢٦٣.
(٢) النقشبندية ص٥١.

ويقول بعض مشائخ البريلوية: **ولا بأس أن طاف حول القبر لحصول البركات، لأن قبور الأولياء من شعائر الله، المأمور بها التعظيم**[1].

هكذا يكون التبرك بالأمكنة عند أهل البدع، مما يجر إلى الشرك الصريح، من الذبح للقبور، والطواف بها، والاستعانة بالمقبورين، والاستغاثة بهم، كما هو مشاهد اليوم حول قبور من يسمون الأولياء في كثير من أنحاء العالم الإسلامي.

ومما يدل على أن **التبرك عبادة**، وأن كيفيته تتلقى عن صاحب الشريعة، ولا يجاوز به المشروع مايلي:

١ - ما رواه البخاري في صحيحه، عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنه جاء إلى الحجر الأسود فقبله. **فقال: «إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله، ﷺ، يُقبلك ماقبلتك»**.

قال ابن حجر في شرحه لهذا الحديث، وفي قول عمر هذا التسليم للشارع في أمور الدين، وحسن الاتباع فيما لم يكشف عن معانيها، وهو قاعدة عظيمة في اتباع النبي، ﷺ، فيما يفعله ولو لم يعلم الحكمة فيه[2].

---

(١) البريلوية عقائد وتاريخ ١٢٤.

(٢) صحيح البخاري مع الفتح ٣/ ٣٧٠

[٢ ـ ما رواه ابن وضّاح عن مروان بن سويد الأسدي، قال: خرجت مع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من مكة إلى المدينة، فلما أصبحنا صلى بنا الغداة، ثم رأى الناس يذهبون مذهبًا **فقال**: أين يذهب هؤلاء **قيل**: ياأمير المؤمنين مسجد صلى فيه رسول الله، ﷺ، هم يأتون يصلون فيه. **فقال**: **إنما هلك من كان قبلكم بمثل هذا يتبعون آثار أنبيائهم فيتخذونها كنائس وبيعًا، من أدركته الصلاة في هذا المسجد فليصل، ومن لا فليمض ولايعتمدها وروى أيضًا عن المعرور بن سويد مثل هذا**[1].]

[٣ ـ ماروواه الإمام أحمد في المسند عن عمر بن عبدالرحمن بن الحرث بن هشام، أنه قال: لقي أبوبصرةَ الغفاري أباهريرة وهو جاء من الطور. **فقال**: من أين أقبلت؟ **قال**: من الطور صليت فيه! **قال**: أما لو أدركتك قبل أن ترحل إليه مارحلت إني سمعت رسول الله، ﷺ، يقول: «**لا تُشدّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى**»[2].

---

(١) البدع والنهي عنها لابن وضاح ص٤١.

(٢) مسند أحمد ٦/٧ وقد حسنه الألباني ٤/١٤٣ في إرواء الغليل. وأماالحديث «لاتُشدّ الرحال».. فهو في الصحيحين كما تقدم.

٤ ـ ماروواه ابن سعد في الطبقات عن نافع **قال**: كان الناس يأتون الشجرة التي **يقال** لها شجرة الرضوان، **فيصلون** عندها قال: فبلغ ذلك عمر بن الخطاب، **فأوعدهم فيها وأمر بقطعها فقطعت**[1].]

[٥ ـ **قال ابن وضّاح**: وكان مالك بن أنس وغيره من علماء المدينة يكرهون إتيان تلك المساجد، وتلك الآثار للنبي، ﷺ، ماعدا قباء وأحد.]

وقال ابن وضّاح: وسمعتهم يذكرون أن سفيان الثوري دخل مسجد بيت المقدس فصلى فيه، ولم يتبع تلك الآثار ولا الصلاة فيها وكذلك فعل غيره ممن يقتدي به، وقدم وكيع أيضًا مسجد بيت المقدس فلم يعد فعل سفيان[2].

٦ ـ ماروواه أبوداود في سننه. قال، ﷺ: «لا تجعلوا بيوتكم قبورًا، ولا تجعلوا قبري عيدًا، وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم»[3].

ولا شك أن الذهاب إلى القبور لا لقصد الزيارة، وإنما

---

(١) الطبقات ٢/١٠٠ وهذا الأثر صحيح انظر مرويات غزوة الحديبية ص١٣٧، وقارن بالبدع لابن وضاح٤٣.

(٢) المصدر السابق.

(٣) صححه الألباني. انظر صحيح سنن ابي داود ٣٨٣/١ وقد أخرجه ابوداود وبرقم ٢٠٤٢.

لقصد الدعاء عندها، لأجل بركتها!! واعتقاد أن الدعاء عندها أفضل وأنها موطن من مواطن إجابة الدعاء، لا شك أن ذلك من اتخاذها عيدًا، وإذا كان قبر الرسول، ﷺ، قد نهى عن اتخاذه عيدًا، فقبر غيره من باب أولى![يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: فأما إذا قصد الرجل الصلاة عند بعض قبور الأنبياء أو بعض الصالحين تبركًا بالصلاة في تلك البقعة فهذا عين المحادة لله ورسوله، والمخالفة لدينه وابتداع دين لم يأذن به الله، فإن المسلمين قد أجمعوا على ماعلموه بالاضطرار من دين رسول الله، ﷺ، من أن الصلاة عند القبر أي قبر كان لا فضل فيها، لذلك ولا للصلاة في تلك البقعة مزية خير أصلاً بل مزية شر[1]!!

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «... مثل من يذهب إلى حراء ليُصلي فيه ويدعو، أو يسافر إلى غار ثور، ليصلي فيه ويدعو، أو يذهب إلى الطور. الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام، ليصلي فيه ويدعو، أو يسافر إلى غير هذه الأمكنة من الجبال وغير الجبال التي يقال فيها مقامات الأنبياء، أو غيرهم، أو مشهد مبني على أثر نبي من الأنبياء، مثل مكان مبني على نعله.. ولا شرع لأمته زيارة موضع المولد، ولا زيارة موضع

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ص٣٣٤.

بيعة العقبة، الذي خلف مِنًى . . » ومعلوم أنه لو كان هذا مشروعًا مستحبًا يثيب الله عليه لكان النبي، ﷺ، **أعلم الناس بذلك، وأسرعهم إليه، ولكان علّم أصحابه ذلك، وكان أصحابه أعلم بذلك، وأرغب فيه ممن بعدهم، فلما لم يكونوا** يلتفتون إلى شيء من ذلك علم أنه من البدع المحدثة التي لم يكونوا يعدونها عبادة وقربة وطاعة، فمن جعلها عبادة وقربة وطاعة، فقد اتبع غير سبيلهم، وشرع من الدين مالم يأذن به الله[1].]

وقد رد الشيخ عبدالعزيز بن باز على مجموعة من الكُتَّاب الذين طالبوا في الصحف بإحياء الآثار النبوية، كطريق الهجرة ومكان خيمة أم معبد، ونحو ذلك من الأمكنة التي نزل بها الرسول، ﷺ، ووضح بأن ذلك يجر الى تعظيمها أو الدعاء عندها، أو الصلاة ونحو ذلك، وهذه من الوسائل المفضية إلى الشرك[2].

وبهذا يظهر أن الأمكنة التي صلى فيها رسول الله، ﷺ، اتفاقًا كأن يكون في سفر ونحو ذلك، ولم يقصد، ﷺ، تخصيصها بالصلاة فيها، فإنه لا يشرع تتبعها والتقرب إلى الله بالصلاة فيها لأنها لم تكن مقصودة لذاتها.

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ٤٢٤ ـ ٤٢٦.

(٢) مجموعة فتاوي ومقالات ابن باز ٣/٣٣٤.

وإذا كان مواضع الصلاة هذه لا يشرع تتبعها، فكذلك **الأمكنة التي ارتبطت بحوادث نبوية معينة**، وذلك من باب أولى **كالغار**، الذي نزل فيه الوحي، **وكالغار** الذي اختفى فيه رسول الله، ﷺ، وأبوبكر الصديق - رضي الله عنه - **وكموقعة بدر، ومكان شجرة بيعة الرضوان**، وكمكان **خيمة أم معبد** الذي نزل فيه رسول الله، ﷺ، وأبوبكر الصديق في طريق هجرتهما.

ولا يُعكّر على هذا ماوراه البخاري في صحيحه: أن **عتبان ابن مالك** وهو من أصحاب رسول الله، ﷺ، ممن شهد بدرًا من الأنصار أنه أتى رسول الله ﷺ **فقال**: يارسول الله قد أنكرت بصري، وأنا أصلي لقومي فإذا كانت الأمطار سال الوادي الذي بيني وبينهم لم أستطع أن آتي مسجدهم فأصلي بهم، وودت يارسول الله أنك تأتيني فتصلي في بيتي، فاتخذه مصلى **قال**: **فقال له** رسول الله، ﷺ، **سأفعل - إن شاء الله - قال**: عتبان فغدا رسول الله، ﷺ، وأبوبكر حين ارتفع النهار، فاستأذن رسول الله، ﷺ، فاذنت له فلم يجلس حين دخل البيت ثم **قال**: **أين تحبّ أن أصلي من بيتك قال**: فأشرت له إلى ناحية من البيت فقام رسول الله، ﷺ، فكبّر فقمنا فصففنا فصلى ركعتين ثم سلم. الحديث(١).

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح ١/٤٣٣.

وذلك لأنه ليس قصد عتبان - رضي الله عنه - أن يتبرك بالموضع الذي صلى فيه رسول الله، ﷺ، وإنما قصده ان يقره الرسول، ﷺ، على الصلاة جماعة في داره عند عدم استطاعته حضور الجماعة، عندما يسيل الوادي، فأراد أن يفتتح له رسول الله، ﷺ، مسجدًا في منزله ولأجل هذا بوب البخاري في صحيحه بعنوان باب المساجد في البيوت وصلى البراء بن عازب في مسجده في داره جماعة وهذا من فقهه - يرحمه الله - فالمقصود هو أن يسن له الرسول، ﷺ، الصلاة جماعة في منزله عند الحاجة كما أن الصحابي الآخر البراء بن عازب فعل الجماعة في مسجده في داره، ولم ينكر عليه، وهو في زمن التشريع، وقد يكون من مقصود عتبان - رضي الله عنه - إصابة عين القبلة فإن الرسول، ﷺ، لا يُقر على خطأ لو صلى إلى غير جهة القبلة.

ولو كان قصد عتبان - رضي الله عنه - التبرك بموضع مصلاه، ﷺ، لبقي هذا الموضع يتبرك به الورثة فمن بعدهم، كما كان الصحابة يتداولون قدح رسول الله، ﷺ، وشعره، ﷺ، لأجل التبرك به.

وأما مايروى عن ابن عمر - رضي الله عنه - أنه كان يتتبع المساجد التي صلى فيها الرسول، ﷺ، يصلي فيها[1] فلا يدل

---

(١) انظر صحيح البخاري مع الفتح ١/ ٤٧٠.

على أن ابن عمر يفعل ذلك من باب التبرك فهو لم يصرح بذلك رضي الله عنه وانما كان يفعله من باب الاقتداء وقد عرف عنه - رضي الله عنه - شدة مبالغته في التأسي برسول الله، ﷺ،[1] ثم إن ابن عمر لا يسافر لأجل ان يصلي في تلك المواطن وإنما إذا سافر من المدينة إلى مكة تحرى النزول في مكان نزول رسول الله، ﷺ، والصلاة في المواضع التي صلى فيها رسول الله، ﷺ، لينال ثواب التأسي والاقتداء، وهذا اجتهاد منه - رضي الله عنه - وأما غيره من الصحابة فلم يبالغوا في ذلك خشية من الفتنة، كما تقدم عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه وأرضاه - ومن المعلوم أن الخلفاء الراشدين الأربعة وأغلب الصحابة قد سافروا بين مكة والمدينة كثيراً، ولم ينقل عن أحد منهم أنه تحرى تتبع آثار الرسول، ﷺ، ليصلي فيها، أو يدعو فيها، ولو فعلوه لنقل عنهم، كما نقل عن ابن عمر - رضي الله عنه - مافعله.

قلت وهذا الأمر الذي أطبق عليه الصحابة رضوان الله عليهم من عدم تتبع الأمكنة التي صلى فيها رسول الله ﷺ اثنان لا ينطبق على الأمكنة التي علم الصحابة رضوان الله عليهم بأنه الرسول ﷺ كان يتحرى الصلاة عندها كمثل اداء ركعتي الطواف خلف المقام كما في حديث جابر - رضي الله عنه - في سياق حجة الوداع « . . ثم نفذ إلى مقام إبراهيم - عليه السلام -.

(١) انظر سير أعلام النبلاء ٢١٣/٣ ومابعدها.

فقرأ: ﴿وَاتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ورفع صوته ليسمع الناس فجعل المقام بينه وبين البيت فصلى ركعتين﴾[1].

فإن الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ كانوا يقتدون بالرسول، ﷺ، في هذا العمل لعلمهم بأن هذا المكان مقصود، فهو داخل في السُنة لا سيما وقد فعله الرسول، ﷺ، بيانًا لمعنى آية كريمة. وقد أمرهم بأخذ المناسك عنه فقال، عليه الصلاة والسلام، في حجته تلك: **لتأخذوا مناسككم، فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه**[2] وصلاة ركعتي الطواف خلف المقام من المناسك، وكمثل الاسطوانة المتوسطة في الروضة في مسجد رسول الله، ﷺ، فإنه، ﷺ، كان يتحرى الصلاة عندها، كما رواه البخاري في صحيحه بسنده عن يزيد بن أبي عبيد قال: **كنت آتي مع سلمة بن الأكوع فيصلي عند الاسطوانة التي عند المصحف، فقلت: ياأبا مسلم أراك تتحرى الصلاة عند هذه الاسطوانة؟ قال فإني رأيت النبي، ﷺ، يتحرى الصلاة عندها**[3]، وكمسجد الخيف بمنى فقد ورد أنه صلى فيه سبعون نبيًّا[4]. وكون الأنبياء ـ عليهم

---

(١) حجة النبي، ﷺ، لمحمد ناصرالدين الألباني ص٥٨، وهي الحجة التي رواها عنه جابر رضي الله عنه كما في صحيح مسلم.

(٢) حجة النبي، ﷺ، لمحمد ناصر الدين الألباني٨٢.

(٣) صحيح البخاري مع الفتح ١/٤٧٧

(٤) الحديث حسنه الألباني في تحذير الساجد١٠٦ وقد رواه المقدسي في المختار ٢/٢٤٩ وحسنه المنذري ٢/١١٦ والأزرق في أخبار مكة ص٣٥.

السلام ـ يتتابعون ويتفقون على الصلاة في مسجد الخيف يدل على مشروعية ذلـك، وفضيلة ذلـك المكـان، من غير إيجاب للصلاة فيه، بدليل إقرار الرسول، ﷺ، للصحابة الذين حجّوا معه، ولم يصلوا في مسجد الخيف.

الفصل الثاني

التبرك الممنوع بالأزمنة

تقدم الحديث عن الأزمنة المباركة، كشهر رمضان، وليلة القدر، ويوم الجمعة، وتقدم أن التعرض لبركتها إنما يكون بالقيام بالمشروع فيها، من الذكر والصيام، ونحو ذلك، ولو التمست بركة تلك الأزمنة بأعمال غير مشروعة، كان هذا من البدع المحدثات، فلو خص شخص يوم الجمعة والعيدين بالصيام التماسًا للبركة لأنكر عليه ذلك، وخالف هدى المصطفى، ﷺ، وهذا يدل على أن التماس البركة في زمان معين، إنما هو عبادة، يقتصر فيها على المشروع، وبهذا يظهر خطأ رأي من قام بتعظيم أزمنة معينة، وخصها بنوع من العبادات والاحتفالات كيوم مولد الرسول، ﷺ، ويوم الإسراء والمعراج، ويوم الهجرة، وأيام المعارك الفاصلة، كيوم بدر ونحو ذلك، وقد وقع أهل الغلو وأهل البدع في هذا التبرك المذموم حتى زعم بعضهم أن ليلة مولد الرسول، ﷺ، أفضل من ليلة القدر[1]، ويقول يوسف هاشم الرفاعي: ومن امثلة هذه السنة الحسنة تلك الاحتفالات التي يقوم بها المسلمون، عند مناسبات

---

(١) انظر مفاهيم يجب أن تصحح، لمحمد علوي المالكي ص١٢٠

معينة كبدء العام الهجري، ومولد المصطفى، ﷺ، وعند ذكرى الإسراء والمعراج، وذكر فتح مكة، وغزوة بدر، ونحوها، مما يتوخى منه تحقيق خير يعود إلى مصلحة الدين[1].

والتبرك بالأزمنة على هذا النحو الذي وقع فيه أهل الغلو وأهل البدع، من البدع المحدثات في الدين، ولايمكن أن يكون من الدين على الإطلاق، وذلك لما يلي:

١ ـ لو كان الاحتفال بهذه الأزمنة، وتخصيصها بنوع من العبادات التماسًا للبركة من الدين، لبينه رسول الله، ﷺ، للأمة قبل وفاته، فإنه قد أكمل الله به الدين، كما قال تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينًا﴾(سورة المائدة الآية:٣) **يقول ابن كثير ـ عليه رحمة الله ـ عند تفسيره هذه الآية: هذه أكبر نعم الله عز وجل على هذه الأمة، حيث أكمل تعالى لهم دينهم، فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبي غير نبيهم، صلوات الله وسلامه عليه، ولهذا جعله الله خاتم الأنبياء وبعثه إلى الأنس والجن، فلا حلال إلا ما أحله ولا حرام إلا ماحرمه، ولا دين إلا ماشرعه وكل شيء أخبر به فهو حق وصدق، لا كذب فيه ولا خلف[2].**

٢ ـ لو كان التبرك بهذه الأزمنة على الطريقة التي يفعلها أهل

---

(١) الرد المحكم المنيع للرفاعي ص١٥٢.

(٢) تفسير ابن كثير ٣/٢٣.

البدع من الاحتفال بها، وإقامة عبادات فيها من الدين، ولم يبينه الرسول، ﷺ، لأمته لكان غاشًا لها ـ وحاشاه من ذلك ـ!! وقد شهدت له أمته بالبلاغ الكامل في أعظم مشهد في يوم عرفة، في حجة الوداع، حيث قال، ﷺ: وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون؟ قالوا نشهد أنك قد بلغت رسالات ربك، وأديت ونصحت لأمتك، وقضيت الذي عليك، فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس اللهم أشهد اللهم أشهد[1].

٣ ـ قال، ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»[2] أي مردود عليه، وروى البخاري بسنده، قال: قال عبدالله: «إن أحسن الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد، ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وإن ماتوعدون لآت، وما أنتم بمعجزين»[3] وقال، ﷺ: «... لقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها ونهارها سواء»[4]. فهذه الأحاديث المباركات وغيرها كثير، تدل على بطلان جميع البدع في الدين، وهي ترد ماستحسنه أهل البدع، بعقولهم من التبرك بالاحتفالات في بعض الأزمنة المرتبطة بحوادث إسلامية.

---

(١) حجة النبي، ﷺ، لمحمد ناصر الدين الألباني٧٣.

(٢) (٣) صحيح البخاري مع الفتح ١٣/٢٧٦، ١٣/٢١٢.

(٤) صحيح ابن ماجة للألباني ١/٦ وقد حسّن الألباني هذا الحديث وأخرجه ابن ماجة برقم٥.

٤ ـ لو كان طلب البركة يأتي عن طريق الاحتفال بهذه الأزمنة وابتداع عبادات فيها، لما تركه الصحابة وأصحاب القرون المفضلة، وهم أحرص الناس على الخير، ولا خير في هدى لم يكن من هديهم، كما ثبت فيما يرويه العرباض بن سارية ـ رضي الله عنه ـ يقول: وعظنا رسول الله، ﷺ، موعظة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقلنا يارسول الله إن هذه لموعظة مودع فماذا تعهد إلينا؟! قال: «**قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها، لايزيغ عنها بعدي إلا هالك، من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين، المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وعليكم بالطاعة، وإن عبدًا حبشيًا فإنما المؤمن كالجمل الأنف، حيثما قيد انقاد**»[1] يقول شيخ الإسلام ابن تيمية عن الاحتفال بمولد النبي، ﷺ: «فإن هذا لم يفعله السلف مع قيام المقتضي له، وعدم المانع منه، ولو كان هذا خيرًا محضا أو راجحًا لكان السلف ـ رضي الله عنهم ـ أحق به منا، فإنهم كانوا أشد محبة لرسول الله، ﷺ، وتعظيمًا له منا، وهم على الخير أحرص[2].

٥ ـ إن هذه الاحتفالات بالأزمنة التي فيها حوادث إسلامية،

---

(١) صحيح ابن ماجة للألباني ١/ ١٤، وقد صحح الألباني الحديث وهو عند ابن ماجة برقم٤٣.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ص٢٩٥.

وطلب البركة بواسطتها، لم تُعرف في أول الأمر إلا عن شر الفرق من الباطنية، وهم بنو عبيد القداح الذين تسموا بالفاطميين[1]. يقول السيوطي في كتابه «تاريخ الخلفاء»: ولم أورد أحدًا من الخلفاء العبيديين لأن إمامتهم غير صحيحة، لأمور منها: أنهم غير قرشيين. وإنما سمتهم بالفاطميين جهلة العوام، ولا فجدهم مجوسي!! قال القاضي أبوبكر الباقلاني: القداح جدّ عبيدالله الذي يسمى بالمهدي كان مجوسيًّا.. وقال الذهبي: المحققون متفقون على أن عبيدالله المهدي ليس بعلوي.

ومنها أن أكثرهم زنادقة خارجون عن الإسلام، ومنهم من أظهر سبّ الأنبياء، ومنهم من أباح الخمر؛ ومنهم من أمر بالسجود له، والخيّر منهم رافضي خبيث، لئيم يأمر بسب الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ ومثل هؤلاء لا تنعقد لهم بيعة ولا تصح لهم إمامة[2]. فهؤلاء هم الذين سنُّوا الاحتفال بالمولد لا حبًّا في رسول الله، ﷺ، وإنما لهدم الدين بإدخال البدع فيه، كما قال القاضي أبوبكر الباقلاني: كان المهدي عبيدالله باطنيًّا خبيثًا حريصًا على إزالة ملة الإسلام، أعدم العلماء والفقهاء،

---

(١) القول الفصل في حكم الاحتفال بمولد خير الرسل ص٦٤.
(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص٤.

ليتمكن من اغـواء الخلق وجـاء، أولاده على أسلوبه، أباحوا الخمر، والفروج وأشاعوا الرفض. وقال الذهبي كان القائم بن المهدي شرًّا من أبيه، زنديقًا، ملعونًا، أظهر سبّ الأنبياء[1]. فمن الذي يقتدي بهؤلاء ويظن أنهم سنوا سُنة حسنة ويظن أن أهدافهم سليمة!!.

٦ ـ إن هذه الاحتفالات بالأزمنة المرتبطة بالحوادث الإسلامية وطلب البركة بواسطتها فيها **مشابهة بما يفعله النصارى**. وقد حذرنا الرسول، ﷺ، من ذلك إذ قال، ﷺ، «**من تشبه بقوم فهـو منهم**»[2] وقـد اجمـع العلماء على وجوب مخالفة أصحاب الجحيم، كما قرره شيخ الإسـلام ابن تيمية في كتابه القيِّم، «**اقـتـضـاء الصراط المستقيم» مخالفـة أصحـاب الجحيم، والنصـارى** هم الـذين يحتلفـون بعيد الميلاد، ويجعلون أزمنة أحوال المسيح ـ عليه السلام ـ مواسم للعبادة، يقول ابن القيِّم فيما ينقله عن شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية، في جواب سؤال عن ليلة الإسراء والمعراج، وليلة القدر، أيهما أفضل: «ولا شرع للمسلمين تخصيص الليلة التي يظن أنها ليلة الإسراء بقيام ولا غيره. ولا يعرف عن أحد من المسلمين أنه جعل لليلة الإسراء فضيلة على غيرها، لاسيما على ليلة القدر، ولا كان الصحابة

---

(١) المصدر السابق ص٥.

(٢) رواه أحمد في مسنده ٢/٩٢ وصححه الألباني في ارواء الغليل ٥/١٠٩.

والتابعون لهم بإحسان يقصدون تخصيص ليلة الإسراء بأمر من الأمور، ولايذكرونها، ولهذا لا يعرف أي ليلة كانت، وإن كان الإسراء من أعظم فضائله، ﷺ، ومع هذا فلم يشرع تخصيص ذلك الزمان، ولا ذلك المكان بعبادة شرعية، بل غار حراء الذي ابتديء فيه بنزول الوحي وكان يتحراه قبل النبوة لم يقصده هو، ولا أحد من اصحابه بعد النبوة مدة مقامه بمكة، ولا خص اليوم الذي أنزل فيه الوحي بعبادة، ولا غيرها، ولا خص المكان الذي ابتديء فيه الوحي ولا الزمان بشيء، ومن خص الأمكنة والأزمنة من عنده بعبادات لأجل هذا وأمثاله كان من جنس أهل الكتاب الذين جعلوا زمان أحوال المسيح مواسم وعبادات، كيوم الميلاد، ويوم التعميد، وغير ذلك من أحواله [1].

٧ - إن التبرك بالأزمنة التي حصلت فيها حوادث معينة مرتبطة برسول الله، ﷺ، يعتبر من الغلو الذي حذر منه رسول الله، ﷺ، في قوله: **«لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده فقولوا عبدالله ورسوله»** [2].

٨ - إن هذه الاحتفالات بالأزمنة المذكورة يقع فيها من البدع

---

(١) زاد المعاد لابن القيم ١/٥٧ ومابعدها.

(٢) مسند احمد بن حنبل ١/٢٣ وصحيح البخاري كتاب الأنبياء انظر صحيح البخاري ٤/١٤٢ باب٤٨.

والخـــرافـــات والاختــلاط أحيانًــا بل والشرك من الاستغــاثــة بالمخلوقين مالايخفى على عاقل خبر هذه الاحتفالات على مدار التاريخ الإسلامي[1].

---

(١) انظر عن هذا الأمر الكتب والرسائل التالية:
١ - كتاب المدخل لابن الحاج.
٢ - الإبداع في مضار الابتداع لعلي محفوظ.
٣ - القول الفصل للأنصاري.
٤ - حوار مع المالكي لابن منيع.
٥ - الرد القوي للتويجري.
٦ - حكم الاحتفال بالموالد النبوية وغيرها لابن باز.
٧ - السنن والمبتدعات للشقيري.
٨ - الإنصاف فيما قيل في المولد من الغلو والإجحاف للجزائري.
٩ - تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين لابن النحاس.

الفصل الثالث

التبرك الممنوع بذوات الصالحين وآثارهم:

تقـــدم الحـــديث عن التـبرك برســول الله، ﷺ، وأن الصحابة كانوا يتبركون بوضوئه وجسمه وعرقه وشعره وملابسه وأدواته وغير ذلك مما يتعلق به، بأبي هو وأمي وصلى الله عليه وسلم، **وهذا أمر خاص به لا يجوز أن يُقاس عليه أحد من الصالحين**، حتى ولو كانوا الخلفاء الراشدين، والعشرة المبشرين بالجنة، وأزواجه، ﷺ، فضلاً عن غيرهم، ولم يوفق للصواب في هذه المسألة من قاس على رسول الله، ﷺ، غيره في مسألة التبرك. والدليل على هذه القضية هو فعل الصحابة من الخلفاء الراشدين وغيرهم فلم يؤثر عن أحد من الناس بأنه تبرك بعرق أبي بكـر، ولا عمـر، ولا عثـمان، ولا علي، ولا بثيابهم، ولا بوضوئهم، ولا بريقهم ولا بشيء من آثارهم. **والتبرك كما تقدم عبـادة**، فإن الإنسان لا يفعله إلا لأجل الحصول على الأجر والثواب، والخير من الله، والعبادة مبناها على التوقيف والاتباع، ولو كان التبرك بغير رسول الله، ﷺ، يجوز لفعله خير خلق الله بعد الرسل وهم صحابة رسول الله، ﷺ، ولفعله التابعون مع من أدركـوه من الصحابة، ولفعله صغار التابعين مع كبارهم وعلمائهم، فلما أطبقوا على تركه دل على عدم مشروعيته.

يقـول الشـاطبي ـ عليه رحمـة الله ـ تعـالى : « . . إن الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ بعد موته، ﷺ، لم يقع من احد منهم شيء من ذلك بالنسبة إلى من خلفه، إذ لم يترك النبي ﷺ بعده في الأمة أفضل من أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ فهو كان خليفته، ولم يفعل به شيء من ذلك ولا عمر ـ رضي الله عنهما ـ وهو كان أفضل الأمة بعده، ثم كذلك عثمان ثم علي ثم سائر الصحابة الذين لا أحد أفضل منهم في الأمة، ثم لم يثبت لواحد منهم من طريق صحيح معروف أن متبركًا تبرك به على أحـد تلك الوجوه أو نحوها، بل اقتصروا فيهم على الاقتداء بالأفعال والأقوال، والسير التي اتبعوا فيها النبي، ﷺ، فهو إذن إجماع منهم على ترك الأشياء.

وبقي النظر في وجه ترك ماتركوا منه، ويحتمل وجهين:

أحـدهما: أن يعتقدوا فيه الاختصاص، وأن مرتبة النبوة يسع فيها ذلك كله للقطع بوجود ماالتمسوا من البركة والخير، لأنه ـ عليه السلام ـ كان نورًا كله في ظاهره وباطنه، فمن التمس منه نورًا وجده على أي جهة التمسه، بخلاف غيره من الأمة ـ وإن حصـل له من نور الاقتداء به والاهتداء بهديه ـ ماشاء الله ـ لايبلغ مبلغه على حال توازيه في مرتبته، ولا تقاربه، فصار هذا النوع مختصًا به كاختصاصه بنكاح مازاد على الأربع، وإحلال

بضع الواهبة نفسها له، وعدم وجوب القسم على الزوجات[1].

وشبه ذلك، فعلى هذا المأخذ: لايصح لمن بعده الاقتداء به في التبرك على أحد تلك الوجوه ونحوها، ومن اقتدى به كان اقتداؤه بدعة، كما كان الاقتداء به في الزيادة على أربع نسوة بدعة.

الثاني: ألا يعتقدوا الاختصاص، ولكنهم تركوا ذلك من باب الذرائع، خوفًا من أن يجعل ذلك سنة - كما تقدم ذكره في اتباع الآثار - والنهي عن ذلك، أو لأن العامة لاتقتصر في ذلك على حد، بل تتجاوز فيه الحدود، وتبالغ بجهلها في التماس البركة، حتى يداخلها للمتبرك به تعظيم يخرج به عن الحد، فربما اعتقد في المتبرك به ماليس فيه، وهذا التبرك هو أصل العبادة، ولأجله قطع عمر - رضي الله عنه - الشجرة التي بويع تحتها رسول الله ﷺ، بل هو كان أصل عبادة الأوثان في الأمم الخالية - حسبما ذكره أهل السير - فخاف عمر - رضي الله عنه - أن يتمادى الحال في الصلاة الى تلك الشجرة حتى تعبد من دون الله فكذلك يتفق عند التوغل في التعظيم.

ولقد حكى الفرغاني مذيل تاريخ الطبري عن الحلاج أن أصحابه بالغوا في التبرك به، حتى كانوايتمسحون ببوله،

---

(١) في الهامش لعل اصله وعدم وجوب القسم عليه للزوجات. وفيه نظر فإنه ﷺ كان يقسم لزوجاته الامه وهبت قسمها لغيرها.

ويتبخرون بعذرته، حتى ادعوا فيه الإلهية تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا.

ولأن الولاية وإن ظهر لها في الظاهر آثار، فقد يخفى أمرها، لأنها في الحقيقة راجعة إلى أمر باطن لايعلمه إلا الله، فربما ادعيت الولاية لمن ليس بولي، أو ادعاها هو لنفسه، أو أظهر خارقة من خوارق العادات هي من باب الشعوذة لا من باب الكرامة، أو من باب السحر أو الخواص أو غير ذلك، والجمهور لا يعرف الفرق بين الكرامة والسحر فيعظمون من ليس بعظيم ويقتدون بمن لا قدوة فيه ـ وهو الضلال البعيد ـ إلى غير ذلك من المفاسد فتركوا العمل بما تقدم ـ وإن كان له أصل ـ لما يلزم عليه من الفساد في الدين.

وقد يظهر لأول وهلة أن هذا الوجه الثاني أرجح، لما ثبت في الأصول العلمية أن كل قربة أعطيها النبي، ﷺ، فإن لأمته أنموذجًا منها، مالم يدل دليل على الاختصاص.

إلا أن الوجه الأول أيضًا راجح من جهة أخرى، وهو إطباقهم على الترك إذ لو كان اعتقادهم التشريع لعمل به بعضهم بعده، أو عملوا به، ولو في بعض الأحوال، إما وقوفًا مع أصل المشروعية، وإما بناء على اعتقاد انتفاء العلة الموجبة للامتناع(١)

(١) الاعتصام، ص٨ ومابعدها.

ويقول الإمام المحقق ابن رجب الحنبلي - عليه رحمة الله - عند شرحه لحديث: «من تشبه بقوم فهو منهم» **«كذلك المبالغة في تعظيم الشيوخ وتنزيلهم منزلة الأنبياء هو منهي عنه»**.

وقد كان عمر وغيره من الصحابة والتابعين - رضي الله عنهم - يكرهون أن يطلب منهم الدعاء، ويقولون: **«أأنبياء نحن؟»** فدل على أن هذه المنزلة لا تنبغي إلا للأنبياء - عليهم السلام - وكذلك التبرك بالآثار فإنما كان يفعله الصحابة - رضي الله عنهم - مع النبي، ﷺ، ولم يكونوا يفعلونه مع بعضهم ببعض، ولا يفعله التابعون مع الصحابة، مع علو قدرهم.

فدل على أن هذا لايفعل إلا مع النبي ﷺ مثل التبرك بوضوئه وفضلاته وشعره وشرب فضل شرابه وطعامه.

وفي الجملة فهذه الأشياء فتنة للمعظِّم وللمعظَّم لما يخشى عليه من الغلو المدخل في البدعة. وربما يترقى إلى نوع من الشرك. كل هذا إنما جاء من التشبه بأهل الكتاب والمشركين، الذي نُهِيَتْ عنه هذه الأمة وفي الحديث الذي في السنن:

إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم، والسلطان المقسط. وحامل القرآن غير الغالي فيه، والجافي عنه، فالغلو من صفات النصارى، والجفاء من صفات اليهود، والقصد هو المأمور به.

وقد كان السلف الصالح ينهون عن تعظيمهم غاية النهي، كأنس والثوري وأحمد، كان أحمد يقول: **من أنا حتى تجيئون إليَّ؟** اذهبوا اكتبوا الحديث، وكان إذا سئل عن شيء، يقول: سلوا العلماء، وإذا سئل عن شيء من الورع يقول: أنا لا يحل لي أن أتكلم في الورع، لو كان بشر حيًا تكلم في هذا.

وسئل مرة عن الإخلاص فقال: اذهب إلى الزهاد، أي شيء نحن حتى تجيء إلينا؟ وجاء إليه رجل فمسح يده على ثيابه، ومسح بهما وجهه، فغضب الإمام أحمد وأنكر ذلك أشد الإنكار وقال: عمن أخذتم هذا الأمر؟[1].

ومما يدل على هذا أيضًا مافعله عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - الخليفة الراشد الملهم، ولم ينكر عليه أحد من الصحابة، بجثة دانيال مع إنه قيل أنه نبي خوفًا من الفتنة بالتبرك بها أو بقبره. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:

«على أنا قد روينا في مغازي محمد بن إسحاق من زيادات يونس بن بكير عن أبي خلدة خالد بن دينار، حدثنا أبوالعالية قال: لما فتحنا تُستر وجدنا في بيت مال الهرمزان سريرًا عليه رجل ميت، عند رأسه مصحف له، فأخذنا المصحف، فحملناه إلى عمر - رضي الله عنه - فدعا له كعبًا فنسخه بالعربية

(١) الحكم الجديرة بالإذاعة ص٥٤.

فأنـا أول رجـل من العـرب قرأه قراءة مثـل ماأقـرأ القـرآن هذا، فقلت لأبي العالية: ماكان فيه؟ فقال: سيرتكم وأموركم، ولحون كلامكم، وماهو كائن بعد، قلت: فما صنعتم بالرجل؟ قال: حفـرنـا بالنهـار ثلاثة عشر قبراً متفرقة، فلما كان الليل دفنـاه، وسـوينـا القبـور كلها لنعميه على الناس لا ينبشونه، فقلت: ماكـانـوا يرجون منه؟ قال: كانت السماء إذا حبست عنهـم برزوا بسريره فيمـطرون. فقـلت: من كنتم تظنـون الرجل؟ قال: رجل يقال له دانيال. فقلت: منذ كم وجدتموه مات؟ قال: منذ ثلاثمائة سنة. قلت: ماكان تغير منه شيء؟ قال: لا، إلا شعـيرات من قفـاه. **إن لحوم الأنبياء لا تبليها الأرض ولا تأكلها السباع**.

ففي هذه القصة: مافعله المهاجرون والأنصار من تعمية قبره لئلا يفتتن به الناس، وهو إنكار منهم لذلك[1].

قلت فإذا تقرر هذا فلا التفات لما ذكره أهل الغلو والبدع من الحكايات المكذوبة من أن الإمام أحمد تبرك بالشرب من ماء غسيل قميص الإمام الشافعي، وأن الإمام الشافعي تبرك بقبر أبي حنيفـة. **يقـول الشيـخ أبوبكر الجزائري** بعد سياقه لهذه الحكـايات المكـذوبة: «وهل يصح هذا الافتراء على الإمامين الجليلين الشافعي وأحمد؟».

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ص٣٣٩.

والله مايصح ، وماهو إلا دجل يريدون التوصل به إلى تبرير الشرك الذي يدعون إليه، والمتمثل في العكوف على قبور الأولياء، والتمسح بتراب قبورهم، والأزر التي على أضرحتهم، وبالتالي سؤالهم، والاستغاثة بهم، والتقرب إليهم بالذبح، والنذر لهم، وبالتالي يتبرك بهم العوام بوصفهم سادة وصوفية وأولياء.

ويدلك على هذا أيها القاريء الكريم، حال ضحايا هؤلاء الراكضين، فلقد أقسم لي طالب علم بالله تعالى إنه شاهد الشيخ السيد بباب إبراهيم من المسجد الحرام، وأنه أخرج رجله من نعله فأكب عليها أحد مريديه يمسحها بمنديل جيبه، ثم دلك بها وجهه، وما ظهر من جسمه. هذا هو سرّ الدعوة إلى التبرك وتكفير من لم يقل بها، ووصفه بأنه وهابي كافر، مبغض لأولياء الله الصالحين.

واسمع السيد يوسف الرفاعي وهو يركض ويقول: فهل يجوز بعد بيان ماسلف أن نُتَهم بالشرك ونُضْرَب بالعصا، وننظر شزراً وحنقاً إلى من يريد أن يتبرك بأي أثر من آثار النبي ﷺ وسواء في ذلك مسجده ومنبره ومحرابه وشباك قبره وخارجه؟.

أليس أيها القاريء الكريم هذا صوت الروافض بالذات، يرتفع من فم السيد الرفاعي السني كما يظن؟ إذ هم الذين يعكفون على الآثار، ويندبون عندها ويبكون.

إن الـرجـل مالبث أن نسي ماقاله أولاً، وانقلب داعية شرك وضـلال، والعياذ بالله تعـالى. إنـه يريد من حماة الحرم النبـوي أن يفسحوا المجال للمغرر بهم، أن يُحوّلوا قبر رسول الله، ﷺ، وثنـا يعبـد ضاربين برغبة رسول الله، ﷺ، التي رفعها إلى ربه قائلاً: «**اللهم لا تجعل قبري وثنًا يُعَبَد عرض الحائط**».

إن الرجل قد ساءه الذب عن العقيدة وحمايتها، فصرخ حتى أغمي عليه: لم لا تسمحوا للزوار أن يتمسحوا بمحراب المسجد النبوي، ومنبره وجدرانه، لِمَ تمنعوهم وتنتهرونهم بدعوى أنها آثار النبي، ﷺ.

كذبت يارفاعي، وأين آثار النبي، ﷺ؟ إن المنبر والشباك من صنـع الأتراك، فوالله مالامست شيئًا من يد رسول الله، ﷺ، وقـدمـه، ولا شيئـا من جسمـه، فبم يتـبرك المسلمون يارفـاعي؟ إنهم يتبركون بوجودهم في مسجد رسول الله ﷺ، والصلاة فيه، وبالسلام على رسول الله، ﷺ وصاحبيه الصديق والفـاروق، ومـاعـدا ذلـك فهـو شرعـة الـروافض، وعملاء الـروافض، والمنتفعين من مظاهر البدع والضلاع، من أمثال هؤلاء الراكضين، هداهم الله إلى الحق، ورجع بهم إلى صراطه المستقيم آمين[1]

(١) وجاءوا يركضون!! ص٦٧.

قلت وقد تقدم إنكار أحمد ـ يرحمه الله ـ على من مسح بيده على ثيابه ومسح بها وجهه وهذا مما يؤيد كذب الحكايات التي يلتقطها أصحاب الغلو والبدع من الموضوعات، على أنه لو صح شيء من ذلك عن أحد من علماء المسلمين فإنه لا يحتج به في مقابل إجماع الصحابة والتابعين على ترك التبرك بذوات الصالحين وآثارهم وعدم قياسهم على رسل الله، صلوات الله وسلامه عليهم، فإن العصمة لرسول الله، ﷺ، وكل يؤخذ من قوله ويرد إلا رسول الله، ﷺ، ولا حجة لمن زعم بأن قوله تعالى: ﴿**وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين**﴾(سورة البقرة الآية: ٢٤٨).

فيه دلالة على التبرك بآثار الصالحين، كما قال محمد علوي المالكي عن هذه الآية، بأنها تدل على التوسل بآثار الصالحين، وفيها المحافظة عليها، وفيها التبرك بها[١]، فإن الآية في الأنبياء وليست في غيرهم، وقد تقدم بأن الأنبياء لايقاسون على غيرهم، في مسألة التبرك قال ابن عطية والصحيح أن التابوت كانت فيه أشياء فاضلة من بقايا الأنبياء وآثارهم[٢].

---

(١) مفاهيم يجب أن تصحح للمالكي ١٥٣

(٢) فتح القدير للشوكاني ١/ ٢٦٥.

يقول الشيخ حمود التويجري في الرد على من احتج بالآية السابقة على التوسل والتبرك بآثار الصالحين.

والسادس قولهم: لقد أثبت القرآن صراحة لا تلميحًا ولا مجازًا أن بقايا الصالحين وآثارهم يمكن التوسل بها في استجلاب الخير ورفع الضر مهما تقادم بها العهد، يقول الله تبارك وتعالى: **﴿وقال لهم نبيهم إن آية ملكه ان يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين.﴾**

والجواب أن يقال: إن الشريعة المحمدية الكاملة قد نسخت الشرائع التي قبلها، فليس لأحد أن يعمل بشيء يخالفها، وقد نهى رسول الله، ﷺ، عن الغلو وأعظم الغلو ماكان وسيلة إلى الشرك بالله تعالى، ومنه التبرك ببقايا الصالحين وآثارهم، والتوسل بها في استجلاب الخير واستدفاع الضرر، وقد قال رسول الله، ﷺ، قبل أن يموت بخمس: **«ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك»**. رواه مسلم من حديث جندب بن عبدالله البجلي - رضي الله عنه -.

قال النووي في شرح مسلم: قال: العلماء: **«إنما نهى النبي، ﷺ، عن اتخاذ قبره وقبر غيره مسجدًا خوفًا من المبالغة في تعظيمه والافتتان به**، فربما أدى ذلك إلى الكفر كما جرى

لكثير من الأمم الخالية» انتهى.

وفي الصحيحين وغيرهما عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن رسول الله، ﷺ، **قال في مرضه الذي لم يقم منه: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»**. وفي الصحيحين وغيرهما أيضًا عن عائشة وابن عباس ـ رضي الله عنهم ـ قالا: «لما نزل برسول الله، ﷺ: **«طفق يطرح خميصه له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه فقال وهو كذلك: لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر مثل ماصنعوا»**.

وفي هذه الأحاديث دليل على أنه **لا يجوز التبرك بآثار الصالحين، ولا الدعاء عند قبورهم ومقاماتهم، لأن ذلك وسيلة إلى الغلو فيهم، والإشراك بهم، وسد الذرائع المفضية إلى الشرك** هو الحكمة في نهيه، ﷺ، عن اتخاذ قبره عيدًا، وعن اتخاذ قبور الانبياء والصالحين مساجد، ولعنه الذين اتخذوا قبورهم مساجد.

وبالجملة فليس في الآية من سورة البقرة وهي قوله تعالى: **﴿وقال لهم نبيهم.. الآية﴾** مايدل على جواز التوسل ببقايا الصالحين واثارهم في استجلاب الخير واستدفاع الضرر، ومن زعم ان الآية تدل على جواز التوسل ببقاياهم واثارهم فقد جمع ثلاثة أمور محرمة أحدها: **الغلو في الصالحين** والغلو فيهم من

أعظم الوسائل إلى الشرك بهم، وقد نهى النبي، ﷺ، عن الغلو وتقدم ذكر الحديث في ذلك.

الثاني: القول في القرآن بمجرد الرأي: وقد ثبت عن النبي، ﷺ، أنه قال: «**من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار**». رواه الإمام أحمد والترمذي وابن جرير والبغوي من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وفي رواية له: «**من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار**» قال الترمذي: هذا حديث حسن.

قال: وهكذا روي عن بعض أهل العلم من أصحاب النبي، ﷺ، وغيرهم أنهم شددوا في هذا في **أن يفسر القرآن بغير علم** انتهى.

الثالث: اتباع ماتشابه من القرآن ابتغاء الفتنة، وتضليل الجهال الذين لايعرفون الفرق بين الحق والباطل، وقد قال الله تعالى: ﴿**فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله**﴾.

[ومن الأدلة على المنع من تتبع آثار الأنبياء والصالحين ماروِاه أبوبكر بن أبي شيبة في مصنفه بإسناد صحيح إلى نافع مولى ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: **بلغ عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أن ناسًا يأتون الشجرة التي بويع تحتها قال**:

فأمر بها فقطعت.

وروى ابن أبي شيبة أيضًا بإسناد صحيح عن المعرور بن سويد قال: **خرجنا مع عمر - رضي الله عنه - في حجة حجها فقرأ بنا في الفجر: ﴿ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل﴾ و ﴿لإيلاف قريش﴾** فلما قضى حجه ورجع والناس يبتدرون فقال: ماهذا؟ **فقالوا**: مسجد صلى فيه رسول الله ﷺ **فقال: هكذا هلك أهل الكتاب اتخذوا آثار أنبيائهم بِيَعًا من عرضت له منكم فيه الصلاة فليصل ومن لم تعرض له منكم فيه الصلاة فلا يصل**.]

فهذا فعل الخليفة الراشد في الإنكار على الذين يعظمون الشجرة التي بويع تحتها رسول الله ﷺ وهذا قوله في الإنكار على الذين يعظمون المكان الذي قد صلى فيه رسول الله، ﷺ، ولو كان تعظيم اثار الأنبياء والصالحين جائزًا لما قطع عمر - رضي الله عنه - الشجرة التي بويع النبي، ﷺ، تحتها، ولما نهى عن تحري الصلاة في المسجد الذي قد صلى فيه رسول الله، ﷺ، وفي فعل عمر رضي الله عنه وقوله أبلغ رد على من زعم أن بقايا الصالحين وآثارهم يمكن التوسل بها في استجلاب الخير واستدفاع الضرر.

[وقد ثبت عن النبي، ﷺ، انه قال: «**إن الله تعالى جعل الحق على لسان عمر وقلبه**». رواه الإمام أحمد والترمذي وابن

حبان في صحيحه من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب، قال وفي الباب عن الفضل بن العباس وأبي ذر وأبي هريرة. انتهى.

ولفظه عن ابن حبان: «**إن الله جعل الحق على لسان عمر يقول به**». وروى الإمام أحمد أيضًا وابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة على لسان عمر وقلبه.]

وروى الإمام أحمد أيضًا وأبوداود وابن ماجة والحاكم في مستدركه عن أبي ذر - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله، ﷺ، يقول: «**إن الله وضع الحق على لسان عمر يقول به**» قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، وقال الذهبي في تلخيصه على شرط مسلم، . وروى الإمام أحمد أيضًا والترمذي، وابن ماجة والبخاري في التاريخ، والحاكم في مستدركه عن حذيفة بن اليمان - رضي الله عنهما - عن النبي، ﷺ، أنه قال: «**اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر**». قال الترمذي هذا حديث حسن وصححه الحاكم والذهبي، وروى الإمام أحمد أيضًا وأهل السنن وابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه عن العرباض بن سارية - رضي الله عنه - أن رسول الله، ﷺ، قال: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة**». قال

الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وصححه أيضًا الحاكم وابن عبدالبر والذهبي[1].

ومما تقدم يظهر لنا ظهورًا جليًّا بأن التبرك بذوات الصالحين وآثارهم من غير الأنبياء **لا يجوز لعدم ورود الدليل الشرعي ولإجماع الصحابة على تركه، ولأن فيه سدًا لذرائع الغلو المذموم المؤدي إلى الشرك والبدع، وللمحافظة على سلامة عقيدة المتبرك** بحيث لا يعلق قلبه إلا بالله فهو وحده الضار النافع المعطي المانع وللمحافظة على دين المتبرك به لئلا يخالطه الغرور والعجب بسبب المتبركين به، فيظن بنفسه الظنون، وكان الصحابة رضوان الله عليهم من أعظم الناس سدًّا لهذا الباب والله تعالى أعلم.

---

(١) الإجابة الجلية على الأسئلة الكويتية ص١٦ ومابعدها.

الخاتمة

لقد تم هذا البحث المبارك إن شاء الله تعالى ويمكن تلخيص نتائجه فيما يلي:

١ - إن طلب التبرك من الأصنام وسدنتها في الجاهلية الأولى كان من الأسباب العظيمة الداعية إلى عبادتها وتقديم النذور والقرابين لها.

٢ - إن الروافض والمتصوفة قد وقع كثير منهم في البدع والشرك بسبب غلوهم في التبرك بآثار الصالحين، وأمكنتهم وقبورهم والأزمنة المرتبطة بأحوالهم.

٣ - إن التبرك المشروع هو ماثبت عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وعن صحابته الكرام.

٤ - إن بعض الأعيان والذوات والأمكنة والأزمنة قد جعل الله فيها بركة، وإن الاستفادة من تلك البركة تكون بالإتيان بما شرعه الرسول، صلى الله عليه وسلم، لتحصيل تلك البركة.

٥ - إن قياس الصالحين على الأنبياء في التبرك قياس مع الفارق، لم يفعله السلف الصالح - رضوان الله عليهم - ولا التابعون.

٦ - إن فضل الزمان والمكان لايدعو إلى التبرك به بخلاف ماشرع.

فهرس المصادر

١ - **الإجابة الجلية على الأسئلة الكويتية**، لحمود بن عبدالله التويجري مكتبة المعارف بالرياض عام ١٤٠٦هـ.

٢ - **الأدب المفرد** للحافظ محمد بن إسماعيل البخاري دار الكتب العلمية بيروت.

٣ - **أديان العرب في الجاهلية** لمحمد نعمان الجارم الطبعة الأولى عام ١٣٤١هـ مطبعة السعادة بمصر.

٤ - **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**، تأليف محمد ناصرالدين الألباني الطبعة الأولى عام ١٣٩٩هـ نشر الكتاب الإسلامي بيروت.

٥ - **الاعتصام** لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي تقديم محمد رشيد رضا نشر دار المعرفة بيروت.

٦ - **اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم**، تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية. بتحقيق محمد حامد الفقي توزيع الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية بالمملكة.

٧ - **بدائع الفوائد** لإبن قيِّم الجوزية نشر دار الكتاب العربي بيروت.

٨ - **البدع والنهي عنها**، تأليف محمد بن وضاح القرطبي، تحقيق: احمد دهمان، دار البصائر بدمشق الطبعة الثانية

عام ١٤٠٠هـ.

٩ - **البريلوية عقائد وتاريخ**، تأليف إحسان إلهي ظهير الطبعة الأولى عام ١٤٠٣هـ الناشر إدارة ترجمان السُنة لاهور- باكستان.

١٠ - **بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب**، لمحمود شكري الألوسي الطبعة الثانية نشر دار الكتب العلمية بيروت بتصحيح محمد بهلجة الأثري.

١١ - **تاريخ الخلفاء للحافظ السيوطي** تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد، الطبعة الثانية عام ١٣٧٨هـ، المكتبة التجارية الكبرى بمصر.

١٢ - **تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد**، تأليف محمد ناصر الدين الألباني الطبعة الثالثة، نشر المكتب الإسلامي بيروت.

* **التوسل أنواعه وأحكامه** لمحمد ناصر الدين الألباني الطبعة الثانية عام ١٣٩٧هـ طبع المكتب الإسلامي بيروت.

* **جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام** للحافظ ابن قيِّم الجوزية طبع دار الطباعة المحمدية بالأزهر عام ١٣٩٢هـ.

* **حجة النبي**، ﷺ، تأليف محمد ناصر الدين الألباني منشورات المكتب الطبعة الرابعة عام ١٣٩٧هـ.

* **الحكم الجديرة بالإذاعة** لابن رجب الحنبلي طبع المكتب الإسلامي الطبعة الأولى عام ١٤٠٣هـ.
* **الرد المحكم المنيع على منكرات وشبهات بن منيع** ليوسف السيد هاشم الرفاعي الطبعة الأولى عام ١٤٠٤هـ الكويت.
* **الرفاعية - دراسة مستفيضة عن مبادئهم، وأحوالهم، ومصادرهم** - تأليف عبدالرحمن دمشقية - الطبعة الأولى عام ١٤١٠هـ رقم (٣) دراسات عن التصوف.
* **الروض الأنف** لعبدالرحمن بن عبدالله السهيلي الناشر دار المعرفة بيروت عام ١٣٩٨هـ.
* **زاد المعاد في هدي خير العباد** تأليف الإمام ابن قيِّم الجوزية تحقيق شعيب الارناؤوط وعبدالقادر الارناؤوط الطبعة السابعة عام ١٤٠٥هـ نشر مؤسسة الرسالة بيروت ومكتبة المنار الإسلامية بالكويت.
* **سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد** لمحمد بن يوسف الصالحي نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة ابتداء من عام ١٣٩٢هـ تحقيق مصطفى عبدالواحد وآخرون.
* **سنن ابن ماجة** بتحقيق محمد فؤاد عبدالباقي دار إحيار التراث العربي ١٣٩٥هـ.

* سنن أبي داود تعليق عزت الدعاس دار الحديث بحمص الطبعة الأولى عام ١٣٩١هـ.
* سنن البيهقي دار الفكر في بيروت.
* سنن الترمذي تحقيق: أحمد شاكر. دار إحياء التراث العربي، بيروت.
* سير اعلام النبلاء للإمام شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي اشرف على التحقيق شعيب الارناؤوط طبع مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الثالثة عام ١٤٠٥هـ.
* الشرك ومظاهره تأليف مبارك بن محمد الميلي طبع وتوزيع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٤٠٨هـ.
* شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي، حققه جماعة من العلماء، وخرج احاديثه محمد ناصرالدين الألباني الطبعة السادسة عام ١٤٠٠هـ نشر المكتب الإسلامي بيروت.
* صحيح البخاري المكتبة الإسلامية باستانبول عام ١٩٨١م
* صحيح الجامع الصغير للألباني المكتب الإسلامي ببيروت.
* صحيح سنن أبي داود لمحمد ناصرالدين الألباني الطبعة الأولى عام ١٤٠٩هـ نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج بالرياض توزيع المكتب الإسلامي بيروت.
* صحيح سنن الترمذي لمحمد ناصرالدين الألباني الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج

بالرياض توزيع المكتب الإسلامي بيروت.
* **صحيح الإمام مسلم بن الحجاج القشيري** دار الفكر عام ١٤٠٣هـ تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي.
* **صحيح الإمام مسلم بشرح النووي** الطبعة الثانية عام ١٣٩٢هـ الناشر دار إحياء التراث العربي بيروت.
* **الصلاة وحكم تاركها** للإمام ابن قيِّم الجوزية بتحقيق تيسير زعيتر نشر المكتب الإسلامي الطبعة الأولى عام ١٤٠١هـ.
* **الطبقات الكبرى** لابن سعد نشر دار صادر بيروت.
* **فتح الباري شرح صحيح البخاري** للحافظ ابن حجر العسقلاني نشر دار المعرفة بيروت (تصوير).
* **فتح القدير الجامع بين الرواية والدراية من علم التفسير** تأليف محمد علي الشوكاني الطبعة الثانية عام ١٣٨٣هـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.
* **فتح المجيد شرح كتاب التوحيد** تأليف عبدالرحمن حسن آل الشيخ الناشر المكتبة السلفية بالمدينة المنورة الطبعة السادسة عام ١٣٩٧هـ تحقيق محمد حامد الفقي مراجعة الشيخ عبدالعزيز بن باز.
* **في رحاب البيت الحرام** تأليف محمد بن علوي بن عباس المالكي نشر دار القبلة بجدة الطبعة الثالثة عام ١٤٠٥هـ.
* **القول الفصل في حكم الاحتفال بمولد خير الرسل، ﷺ،**

تأليف الشيخ محمد إسماعيل بن محمد الأنصاري طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء عام ١٤٠٥هـ.

* لسان العرب لابن منظور دار صادر ببيروت.
* مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية جمع وترتيب عبدالرحمن بن قاسم وابنه محمد الطبعة الأولى عام ١٣٩٨هـ.
* مجموع فتاوي ومقالات متنوعة للشيخ عبدالعزيز بن باز طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.
* مرويات غزوة الحديبية جمع وتخريج ودراسة تأليف حافظ بن محمد عبدالله الحكمي، طبع وتوزيع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٤٠٦هـ.
* المستدرك على الصحيحين للحافظ أبي عبدالله الحاكم النيسابوري وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي، دار الفكر بيروت عام ١٣٩٨هـ.
* مسند الإمام أحمد بن حنبل وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال نشر المكتب الإسلامي ودار صادر بيروت.
* مشكاة المصابيح لمحمد بن عبدالله الخطيب التبريزي

بتحقيق محمد ناصر الدين الألباني الطبعة الثانية عام ١٣٩٩هـ نشر المكتب الإسلامي بيروت.

* **مفاهيم يجب أن تصحح** تأليف محمد علوي المالكي نشر دار الإنسان بالقاهرة الطبعة الأولى عام ١٤٠٥هـ.
* **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام** للدكتور جواد علي الطبعة الثالثة عام ١٩٨٠م نشر دار العلم للملايين بيروت ومكتبة النهضة ببغداد.
* **نقد البردة مع الرد والتصحيح** تأليف عبدالبديع صقر الطبعة الثانية عام ١٤٠٦هـ.
* **النقشبندية - عرض وتحليل -** تأليف عبدالرحمن دمشقية الطبعة الأولى عام ١٤٠٤هـ الناشر دار طيبة بالرياض وهي رقم (١) في سلسلة دراسات عن التصوف.
* **النهج السديد في تخريج أحاديث تيسير العزيز الحميد** لجاسم الفهيد الدوسري نشر دار الخلفاء للكتاب الإسلامي بالكويت الطبعة الأولى عام ١٤٠٤هـ.
* **الوابل الصيب من الكلم الطيب**، تأليف الإمام ابن قيِّم الجوزية تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط مكتبة دار البيان بيروت الطبعة الثانية عام ١٣٩٩هـ.
* **وجاءوا يركضون مهلا يادعاة الضلالة** لابي بكر الجزائري طبع عام ١٤٠٥هـ

فهرس الموضوعات

العنوان الصفحة

المقدمــة ٥

تمهيد في معنى التبرك وحقيقته ١١

الباب الأول: التبرك المشروع ٢٣

الفصل الأول: التبرك المشروع بذات النبي ﷺ وآثاره ٢٥

الفصل الثاني: التبرك المشروع بالأقوال والأفعال ٣٣

الفصل الثالث: التبرك المشروع بالأمكنة ٣٩

الفصل الرابع: التبرك المشروع بالأزمنة ٤٣

الفصل الخامس: التبرك المشروع بالمطعومات ومافي حكمها ٤٧

الباب الثاني: التبرك الممنوع ٥١

تمهيد: في التبرك عند أهل الجاهلية الأولى ٥٣

الفصل الأول: التبرك الممنوع بالأمكنة والجمادات ٦١

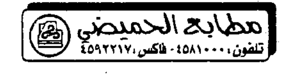
الفصل الثاني: التبرك الممنوع بالأزمنة ٧٣

الفصل الثالث: التبرك الممنوع بذوات الصالحين وآثارهم ٨١

الخاتمــة ٩٧

فهرس المصادر ٩٩

فُسح من الإعلام برقم ٣٨٥١/م بتاريخ ١٢/٦/١٤١١هـ



ثناء الله خان